المقـــــدمة

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الانبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه وسلم. قال الله تعالى:(من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه،فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا)،قال ابن زيد،في قوله:وما بدلوا تبديلا: لم يغيروا دينهم كما غير المنافقون[1].ومن هؤلاء الرجال الصادقين السلطان عبدالحميد خان المفترى عليه. ليس هناك من شخصية في التاريخ الإسلامي المعاصر لقيت من الظلم والإجحاف والافتراء بقدر ما لقيت شخصية السلطان عبدالحميد الثاني،فقد صور من قبل أعدائه اليهود والأرمن بصورة السفاح فالأرمن أطلقوا عليه في كتاباتهم لقب(السلطان الأحمر) وأطلق عليه غلادستون لقب(المجرم الكبير).وحملات التشويه بحقه لم تسلم منها كتب بعض المؤلفين العرب التي صورت السلطان في صورة الطاغية مثل كتاب(الانقلاب العثماني)لجرجي زيدان،و(الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده) لسليمان البستاني...ولكن التاريخ أبى إلا أن يقول كلمته في حق هذا الرجل الذي صمد في وجه اليهود والقوى الدولية الغاشمة صمود الأبطال،وهوصابر محتسب حتى خلع عن عرشه.وهذا ماذهب إليه المؤرخ الصلابي[2] في كتابه السلطان عبدالحميد:على أنه السلطان العادل الذي قدم الاصلاحات لبلاد المسلمين وحكم دولة مترامية الأطراف متعددة الأعراق بدهاء وذكاء ومد في عمر الدولة والخلافة العثمانية ووقف ضد تكالب الدول الكبرى التي أرادت اقتسام الممالك الاسلامية.ولاننسى موقفه الحازم في منع كيان يهودي في فلسطين.عبدالحميد شخصية تاريخية عريقة والفترة التي حكم فيها حدثت تحولات خطيرة في سياسات قوى الدول الكبرى الغربية والاسيوية(روسيا)في شتى المجالات العسكرية والاقتصادية والتجارية ونهوض ملحوظ في تطوير الاسلحة والمعدات الحربية واثناء حكم عبدالحميد حدثت سلسلة من المؤمرات ضد الخلافة من قبل الدول الغربية بتدبير يهودي.ومنها الاغتيلات حتى وصل الامر لغتيال السلطان نفسه،أردنا من خلال بحثنا توضيح الصورة الحقيقية لهذا السلطان العثماني..والله الموفق

---

(١) تفسير الطبري،لمحمد بن جرير الطبري.(٢) علي الصلابي،فقيه،وكاتب،ومؤرخ،ومحلل سياسي من ليبيا.

الفصل الاول

نبذة مختصرة عن الخلافة العثمانية ونشأتها

بدأت الدولة العثمانية بإمارة صغيرة في آسيا الصغرى محصورة بين البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود تأسست على يد آل عثمان الذين حولوها إلى إمبراطورية عظمى توسعت في قارة أوروبا والشرق الأوسط لتشمل البلاد العربية إلا المغرب الأقصى وعلى يدهم تجددت الخلافة،امتدت منذ عام١٢٩٩حتى عام ١٩٢٤م وهو تاريخ سقوط الدولة العثمانية.وكان آخر سلاطينها هو السلطان عبدالمجيد أفندي الذي ظل على رأس الإمبراطورية لعامين فقط وكان قد انتخب للخلافة بواسطة الجمعية الوطنية التركية فى أنقرة،واستقر فى إسطنبول ومنح لقب جنرال الجيش العثمانى،وبخلعه يكون قد أسدل الستار على الدولة العثمانية.

ينتسب العثمانيون إلى عشيرة قايي من قبائل الأغز الترك بتركستان،مؤسسها هو عثمان ا بن أرطغرل المعروف بإسم عثمان الأول لذا عرف الأتراك باسم العثمانين وكان والد عثمان ابن أرطغرل قد جاء من تركستان إلى بلاد الأناضول.وفيها توفي عام ٦٨٠ هـ ومن ثم تولى ابنه عثمان خان قيادة شعبه فاستطاع فى سنة ١٢٢٨م فتح مدينة ملانجنون والتى سماها قره جه حصار،ثم توالت الفتوحات العثمانية بعد ذلك استطاع أورخان ابن عثمان الاستيلاء على بروسه ثم أزميد ثم مدينة أزنيق سنة١٣٣٠م،ولقد ارتبطت الفتوحات العثمانية فى البداية بالاتجاه نحو أوروبا وذلك عندما عبر سليمان بن أورخان مضيق الدردنيل سنة ١٣٥٦م ونزل شبه جزيرة جاليوبولي مؤسسا بذلك أول موطئ للعثمانيين بأوروبا وعلى الرغم من توجه العثمانيون نحو فتح أوروبا إلا أن الدول الأوروبية الكبري فى ذلك الوقت ممثلة فى فرنسا وانجلترا لم تستطع وقف الزحف العثماني لأوروبا عام ١٣٥٦م،بسبب تصارع القوى الأوربية آنذاك مع بعضها.وبحلول عام١٤٠٠ ميلادي بعد أن فتح العثمانيون معظم الأراضي المحيطة اتجهت أنظارهم نحو القسطنطينية التي كانت عاصمة لبيزنطا ورمزا للمسيحيين،تم ضرب الحصار تحت حكم السلطان بايزيد وفشل هذا الحصار ولم تسقط القسطنطينية،أما الحصار الثاني

فكان عام١٤٢٢ميلادي تحت حكم السلطان مراد الثاني وفشل كذالك مثل سابقه وفي عام ١٤٥٣ميلادي بدأ الحصار الثالث من طرف السلطان محمد الثاني لمدة شهرين وفي يوم٢٣مايو١٤٥٣ميلادي تمكن الجيش العثماني من اقتحام المدينة وفتحها وسميت بـ(إسلام بول) أي مدينة الإسلام وهي حاليا المعروفة بإسطنبول وبسبب هذا الفتح لقب السلطان محمد الثاني بالفاتح أو محمد الفاتح.

وكان لفتح القسطنطينية نتائج أهمها:انتشار الإسلام في أوروبا،ظهور الإمبراطورية العثمانية كقوة عظمى إسلامية،وظهور سلاح المدفعية الذي اخترعه العثمانيون،واستيقاظ أوروبا من العصور الوسطى ودخولها عصر النهضة والصناعة.

لم يقتصر النفوذ العثماني على بلاد الأناضول وشرق أوروبا بل شملت الدول العربية والإسلامية وكان من أهداف العثمانيين توحيد العالم الإسلامي وإعلان الخلافة وحماية المسلمين من المخاطر المحيطة بهم وكذلك توسيع الدولة العثمانية.فتم ضم بلاد الشام إلى الخلافة العثمانية عام١٥١٦م في عهد السلطان سليم الأول بعد هزيمة المماليك في معركة برج دابق،ثم ضم مصر إلى الدولة العثمانية عام١٥١٧م بعد هزيمة المماليك حيث أصبحت إيالة "ولاية"عثمانية.وبعدها رغب العثمانيون في ضم الحجاز إلى سلطتهم باعتبارها موطن الأماكن المقدسة"مكة والمدينة المنورة" حيث أعلن شريف مكة ولائه

لهم بعد أن تم فتح مصر والشام وأصبحت الحجاز إيالة عثمانية وتنازل الخليفة العباسي المتوكل بالله الثالث في مصر لهم بالخلافة[1] وتم إعلان الخلافة العثمانية وتم نقل آثار الرسول صلى الله عليه وسلم إلى إسطنبول.

وفي عام ١٥٣٤م قام السلطان سليمان القانوني بضم العراق وتأمين الحدود الشرقية للدولة الإسلامية. ثمانية وأربعون عامًا قضاها السلطان القانوني على قمة السلطة في دولة الخلافة العثمانية،بلغت في أثنائها قمة درجات القوة والسلطان،حيث اتسعت أرجاؤها على نحو لم تشهده من قبل،وبسطت سلطانها على كثير من دول العالم في

السلطان سليمان القانوني

قاراته الثلاث وامتدت هيبتها فشملت العالم كله،وصارت سيدة العالم يخطب ودها الدول والممالك وارتقت فيها النظم والقوانين التي تسير الحياة في دقة ونظام،دون أن تخالف الشريعة الإسلامية،عرف القانوني عند الغرب باسم سليمان العظيم وفي الشرق باسم سليمان القانوني.تزعم قمة السلطة الدولة العثمانية العسكرية والسياسية والاقتصادية.قاد الجيوش العثمانية لغزو المعاقل والحصون في بلغراد ورودوس ومعظم أراضي مملكةالمجر قبل أن يتوقف في حصار فيينا عام١٥٢٩م.ضم معظم مناطق الشرق

(١) موراجي دوسون(Mouragi D'Husson) سنة ١٧٨٧،في كتابه"سلسلة لنسب آل عثمان.

الأوسط ومناطق شاسعة من شمال أفريقيا.وخلال حكمه،سيطرت الأساطيل العثمانية على بحار المنطقة من البحر المتوسط إلى البحر الأحمر وصولاً الى الخليج تولى قيادتها القائد البحري بيري ريس[1]،في خضم توسيع الإمبراطورية،أدخل سليمان إصلاحات قضائية تهم المجتمع والتعليم والجباية والقانون الجنائي،حدد قانونه شكل الإمبراطورية لعدة قرون بعد وفاته.ولم يكن سليمان شاعراً وصائغًا فقط،بل أصبح أيضًا راعيًا كبيراً للثقافة ومشرفًا تطور الفنون والأدب والعمارة في العصر الذهبي للإمبراطورية العثمانية وظهر في عصره أشهر المهندسين المعماريين في التاريخ الإسلامي وهو سنان[2]،الذي

بيري ريس أمير البحر

اشترك في الحملات العثمانية،واطلع على كثير من الطرز المعمارية حتى استقام له أسلوب خاص ويعد جامع السليمانية الذي بناه للسلطان سليمان في سنة(٩٦٤هـ/١٥٥٧م) من أشهر الأعمال المعمارية في التاريخ الإسلامي.ومن الآثار المعمارية التي خلفها معمار سنان آغا ٥٥ كلية ومدرسة تعليمية أشهرها كلية زخرفية في حلب وكلية تشوبان مصطفى في غابزا وكلية حسكة في إسطنبول.٨١ مسجداً يأتي على رأسهم جامع السليمانية المذكور سلفًا،والشيخ زاده،ومهرمه سلطان في إسطنبول،والسليمية في إديرنة.وثلاث مستشفيات،ودور تأهيل يأتي على رأسها دار العجزة في إسطنبول. وثمانية جسور مثل جسر سيليفري وبيوك تشكماجا في إسطنبول. ٣٦ قصر مثل القصر العتيق والقصر

(١) هو أحمد محي الدين القائد البحري الشهير بـ(أمير البحر) راسم الخرائط العثمانية، وهو من اكتشف الأمريكتين قبل كولومبس.
(٢) خوجه معمار سنان آغا(١٤٨٩-١٥٨٨م)المعروف بإسم معمار سنان،أشهر معمار عثماني،كان رئيس المعماريين وأشهرهم .

الجديد في إسطنبول. ٨ مخازن مثل مخزن القمح في حي كاغيت خانه في إسطنبول.

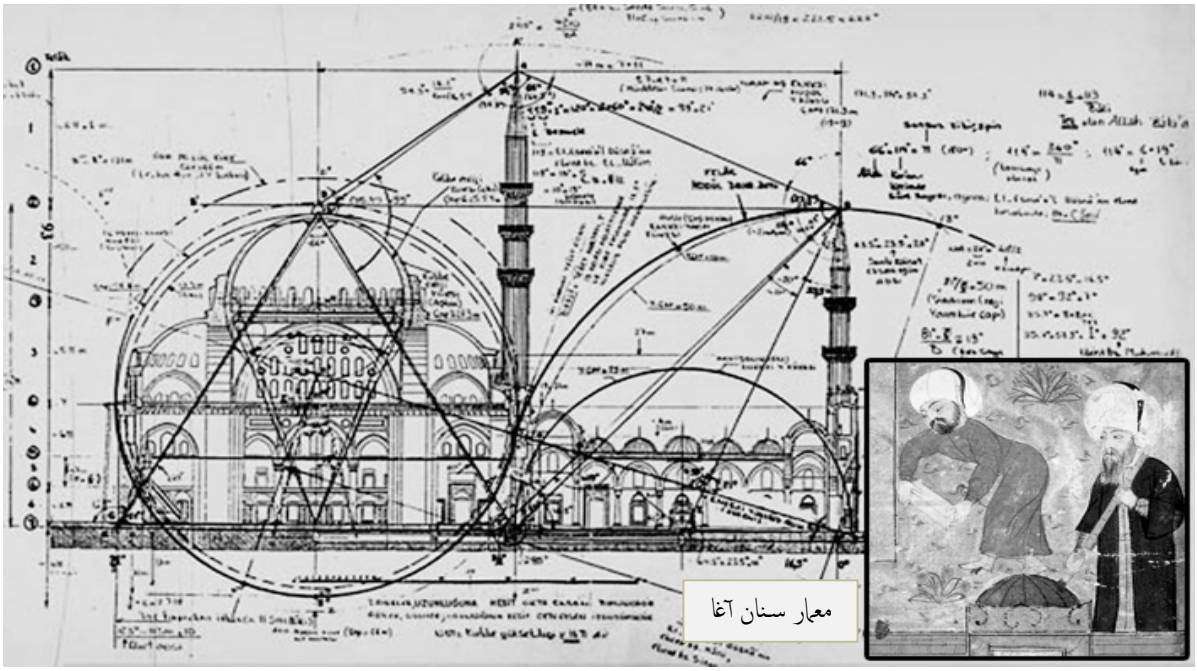

فترة الركود والتدهور الإمبراطورية العثمانية

بعد أن وصلت الدولة العثمانية قمة مجدها وقوتها استطاعت المحافظة على كامل ما كان لها من القوة والسطوة والمجد مدة قرن تقريبا،ثم بدأت عوامل الضعف بالتسرب إلى كيانها و بنيتها الداخلية بشكل تدريجي وغير ملحوظ،ولم تظهر آثار هذه العوامل على وجه ملحوظ إلا في سنة ١٦٨٣م،في أثناء الحصار لمدينة فيينا وما أعقبه من انسحاب الجيش العثماني،ثم توقيع معاهدة كارلوفي التي خسرت فيها الدولة العثمانية المجر وترانسلفانيا وكانت تلك معاهدتها الأولى التي تخرج منها خاسرة. وفي ١٧٦٨-١٧٧٤م خسرت الدولة العثمانية حربها مع روسيا لاول مرة و بموجب معاهدة كوجك كينارجي حصل القرم على استقلاله.أمام هذا التوقف،بل التراجع،بدأت محاولات الإصلاح ويمكن ملاحظة هذه المحاولات عند عبدالمجيدالأول،وسليم الثالث،ومحمود الثاني،وكانت أهم عقبة تقف أمامهم هي وضع النكشارية،فشل عدة محاولات دامية للتخلص من النكشارية استطاع محمود الثاني أخيراً سنة١٨٢٦م القضاء عليها.ولكن جميع المحاولات التي كانت تبذل من قبل السلاطين لم يكن باستطاعتها وقف التدهور الذي سرى واستشرى في كيانها،وكان هذا التدهور شامل،تدهور اقتصادي وتدهور عسكري

وتدهور سياسي وتدهور علمي وتدهور نفسي.وملخص المصاعب التي كانت تجابهها الدولة العثمانية والتي أدت آخر الأمر إلى انهيارها كالاتي:

١- اتساع الإمبراطورية العثمانية اتساعًا هائلا وامتدادها في ثلاث قارات،وما كان يولده هذا التساع من صعوبات كبيرة في المحافظة عليها،ومجاورتها نتيجة هذا الأتساع لروسيا والدول الأوربية القوية.

٢- وجود قوميات وأجناس وأديان متعددة فيها،مما كان سببًا لثورات لا تنقطعن وداعيا لتعاون كثير من هذه القوميات وأصحاب الأديان مع دول أجنبية وتلقي المعونات العسكرية والمادية منها،ومبررا لتدخل الدول في شؤونها بحجة رعاية شؤون هذه القوميات والأديان.

٣- الفرق العلمي والتكنولوجي الواضح بين الدول الأوروبية التي كانت في طور نهضتها العلمية وبين الدولة العثمانية التي كانت في دور الركود ثم الأنحطاط.

٤- انغماس أغلب السلاطين المتأخرين في حياة اللهو والبذخ،وتفشي سوء الأدارة والرشوة في أرجاء الإمبراطورية.

ويمكن تقسيم الأدوار التي مرت بها الدولة العثمانية بعد فتح إسطنبول كالأتي:

١- مرحلة النمو والتقدم:وتمتد من فتح إسطنبول سنة ١٤٥٣م حتى سنة١٥٧٩م وهي سنة اغتيال الصدر الأعظم صوقولو.

٢- مرحلة التوقف: وتمتد من سنة١٥٧٩م حتى الحصار الثاني لـ(فيينا)سنة١٦٨٣م وفيها انقطعت سرعة التقدم و تباطأت.

٣- مرحلة التأخر والانحطاط:وتمتد من سنة ١٦٨٣م وتمتد حتى تمزق الإمبراطورية العثمانية في الحرب العالمية الأولى.

بينما كانت عوامل الضعف والانحلال تنخر جسم الدولة العثمانية،كانت الدول الأوربية في تقدم دائب منذ عصر النهضة،أما روسيا فإنها كانت قد بدأت بالتحول إلى دولة قوية منذ عهد بطرس الأول وكاترين الثانية،وهذا مما أدى إلى أن تتسع الفجوة بين قوة الدولة العثمانية وقوة أعدائها من الدول الأوربية عاما بعد عام.وكانت النتيجة أن اتجهت

السلطان عبدالحميدخان،لأورخان محمدعلي.

مطامع هذه"التحول نحوها،فلم تملك إلاالوقوف أمام هذه المطامع موقف الدفاع بعد أن كانت سابقا في موقف الهجوم. لقد تاكدت الدول الأوربية وروسيا القيصرية بأن المجال أمامهم ضيق في التوسع على حساب بعضهم،وأن من الأفضل لهم التوجه لالتهام الدولة العثمانية التي كانت بالنسبة إليهم إمبراطورية غنية وواسعة،وضعيفة في الوقت نفسه.

ولكن الدول الأوروبية في أثناء هذا السباق والتنافس لالتهام الإمبراطورية العثمانية كانت تجد نفسها وجها لوجه مع بعضها البعض في كثير من الأحياء.وقد تساعد إحدى هذه الدول العثمانية وتعقد معها المحالفات،لاتأمينا لسلامتها،بل خشية وقوعها في أحضان المنافسين لقمة سائغة دون أن تأخذ هي حصة مناسبة،وهذا هو جوهر ماسمي بـ(المسألة الشرقية).

القادة العظام في أمتنا على صنفين:

صنف جاء في فترة قوة وازدهار فحافظ على هذه القوة بل أضاف إلى قوتها قوة،وهؤلاء عظماء. وصنف آخر جاء في فترة ضعف فصمد في وجه المحن وواجه الصعوبات وتصدى للمؤامرات وكسرت على صخرته الصلبة مطامع الأعداء وهؤلاء القادة من وجهة نظر بعض المؤرخين هم الأعظم.ومن هؤلاء العظام الذين قادوا الأمة في أسوأ فتراتها ولم يتنازلوا أو يتهاونوا في حقوقها(السلطان عبدالحميد الثاني).هذا الرجل الذي ظلمه التاريخ فتجاهل أفضاله ومحاسنه،وشوه صورته ثلة من المزورين،وهذه طبيعتهم يحقرون من شأن العظماء ويشوهون صورتهم حتى يحولهم من أبطال قدموا وضحوا،إلى مجرمين أجرموا وظلموا،وبطلنا ممن نالهم هذا التشويه إن لم يكن هو اكثر من شوهت صورته في العصر الحديث.

فمن هوعبدالحميد الثاني،وماذا قدم للإسلام،ولماذا شوهت صورته بهذاالشكل الكبير؟

يلماز أورزتونا ـ تاريخ الدولة العثمانية- منشورات مؤسسة فيصل للتمويل ـ إستانبول ـ ١٩٨٨م.عبدالعزيز محمد الشناوي الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ـ مكتبة الأنجلو ـ القاهرة ـ ١٩٨٦م.محمد فريد بك ـ تاريخ الدولة العلية العثمانية تحقيق إحسان حقي ـ دار النفائس ـ بيروت ـ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.علي حسون ـ تاريخ الدولة العثمانية- المكتب الإسلامي بيروت ـ ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.محمد حرب ـ العثمانيون في التاريخ والحضارة ـ المركز المصري للدراسات العثمانية ـ القاهرة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م . د- علي محمد الصلابي،السلطان عبدالحميد الثانى وفكرة الجامعة الإسلامية.

السلطان عبدالحميدالثاني،الخليفة الرابع والثلاثين وآخر الخلفاء الفعليين للدولة العثمانية. استمرحكمه اكثر من ثلاثين عاما،كان فيها شوكة في حلق أوروبا واليهود وحصنا حصينا للإسلام وللمسلمين.

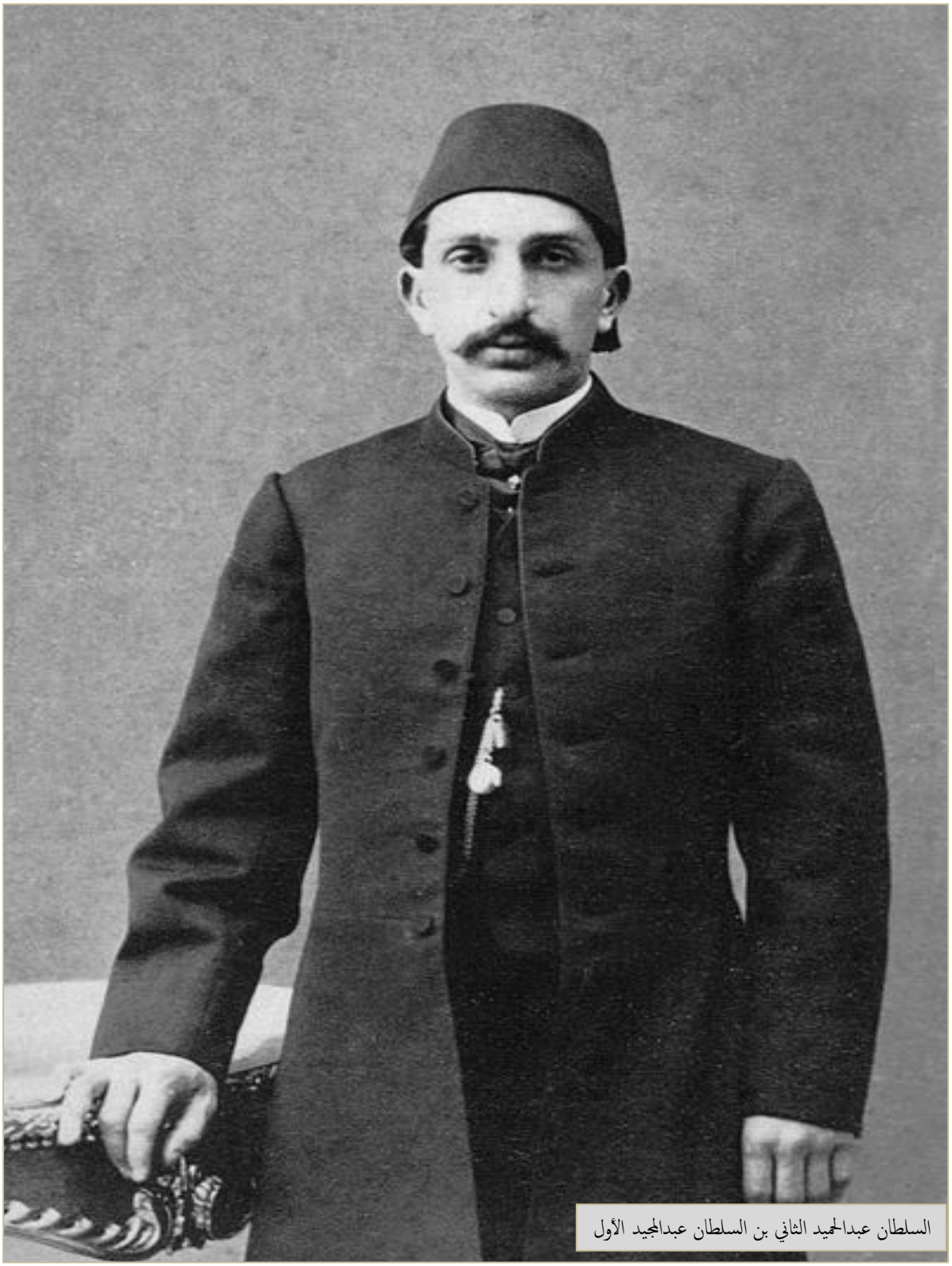

السلطان عبدالحميد الثاني بن السلطان عبدالمجيد الأول

المولد والنشأة:ولد عبدالحميد يوم الأربعاء(١٦شعبان ١٢٥٨هـ/٢٢سبتمبر١٨٤٢م) في قصر جراغان في إسطنبول(الاستانة) وهو ابن السلطان عبدالمجيد الأول،أمه تيري مجكان من قبيلة أوبخ الجركسية توفيت في قصر بكلربيكي بمرض السل عام١٨٥٣ ميلادي،ولم يتجاوز ابنها الحادية عشر،وبعد مرور شهر على وفاة أمه لما راى ابيه السلطان عبدالمجيد ولده يتيماً حزينا بوفاة أمه أخذ بيده وذهب به إلى زوجته الاخرى برستوا قادن التي لم تنجب،قال لها زوجها السلطان عبدالمجيد اتيتك بولدا فخني عليه واجعليه كولدك واهتمي بتربيته وقال له هذه امك فقبل يدها،فعهد بعبدالحميد إلى زوجة أبيه بيرستوا التي اعتنت بتربيته وأولته محبتها،لذا منحها عند صعوده للعرش كل مايستحق لقب السلطانة،الوالدة،وقال خاطبًا لها انتي أمي امنحك كل ماتسحقين ولكن عليك أن لاتتدخلي في شؤن الحكم والدولة،وعملت بهذا القول إلى أن توفيت.

توفي والده وعمره ١٨عاما،وصار ولي عهد ثان لعمه:عبد العزيز،واستمر في ذلك ١٥عامًا شاركه فيها عبدالحميد في بعض سياحاته ورحلاته إلى أوروبا ومصر،التقى عبدالحميد في خلافة عمه بعدد من ملوك العالم الذين زاروا«إسطنبول». تعلم السلطان عبدالحميد مع شقيقة السلطان مراد اللغة العثمانية واديبياتها عند عمر أفندي واللغة الفارسية عند عجم علي مخفي أفندي وأما اللغة العربية والعلوم الدينية عند فريد أفندي وشريف أفندي واللغة الفرنسية عند قادرت الفرنسي،ودرس علم التاريخ عند لطفي أفندي وكان الخان بارع في الخط العربي وكتابته وله لوحات بالخط العربي جميلة جداً. لعبدالحميد هوايات متعددة منها:المبارزة بالسيف،والسباحة،وركوب الخيل،والصيد،أما أبرز هواياته فكانت النجارة،يقول المؤرخ إيلبر أورتايلي:لو لم يكن عبدالحميد سلطانًا لكون ثروة من حرفة النجارة،ومن نماذج أعماله خزانات صنعها بيديه تستخدم اليوم لتخزين سجلات المحكمة في مكتب المدير الإقليمي للشؤون الدينية في إسطنبول،بعض الطاولات في قصر توبكابي،ومكتبة في جامعة إسطنبول،ومن ذلك فقد أهدى صهره الصدرالأعظم توفيق باشا خزانة رائعة من صنع يده،إلى جانب حبه للرسم.

د- علي محمد الصلابي،السلطان عبدالحميد الثانى وفكرة الجامعة الإسلامية،أورخان محمدعلي،السلطان عبدالحميد.

زيارة عبدالحميد الثاني لأوروبا:قام عمه السلطان عبدالعزيز بزيارة أوروبا يرفقه وفد عثماني رفيع المستوى وكان من ضمنه الأمير عبدالحميد الذي ظهر أمام الأوروبيين بملابسه البسيطة وسيرته الحميدة في العفة. وقد استفاد الأمير عبدالحميد في هذه الرحلة بمطالعات واسعة،فإنه كان دقيقًا في رؤيته،وفي حكمه على الأشياء التي رآها في الغرب. ولقد التقى الوفد العثماني بساسة ذلك العصر في أوروبا مثل،نابليون الثالث في فرنسا والملكة فكتوريا في إنجلترا،وليوبلد في الثاني في بلجيكا،وغليوم الأول في ألمانيا،وفرنسوا جوزيف في النمسا،وقداستغرقت الزيارة من٢١حزيران/ يونيو إلى ٧ آب/ أغسطس من عام١٨٦٧م.وفي هذه الرحلة الأوروبية،تفتح ذهن عبدالحميد إلى أموركثيرة انعكست على فترة حكمه كلها بعد ذلك. وهذه الأمور هي:

١- الحياة الأوروبية بكل ما فيها من طرق معيشة غريبة وأخلاقيات مختلفة وشكليات.

٢- التطورالصناعي والعسكري وبخاصة في القوات البريةالفرنسية والألمانية وفي القوات البحرية البريطانية.

٣- ألاعيب السياسة العالمية.

٤- تأثير القوى الأوروبية على سياسة الدولة العثمانية.

اقتنع الأمير عبدالحميد في هذه الرحلة:أن فرنسا دولة لهو،وانكلترا دولة ثروة وزراعة وصناعة. أما ألمانيا فيه دولة نظام وعسكرية وإدارة وكان إعجابه بألمانيا كثيراً،لذلك عهد بتدريب الجيش العثماني إليها عندما أصبح سلطانًا،ولقد تأثر الأمير عبدالحميد بهذه الرحلة ودفعه ذلك التأثر إلى الاهتمام بإدخال المخترعات الحديثة في دولته في مختلف نواحي الحياة: تعليمية وصناعية ووسائل اتصالات وعسكرية،والأمثلة على ذلك كثيرة منها:شرائه غواصتين وكان سلاح الغواصات جديداً.وأدخل التلغراف إلى بلاده من ماله الخاص،وأنشأ المدارس الحديثة،وأدخل فيها العلوم العصرية،وأدخل إلى البلاد أول سيارة وأول دراجة،وأخذ بنظام القياس المتري.لكنه وقف بحزم ضد سريان الفكر الغربي في البلاد. أثرت رحلة عبدالحميد إلى أوروبا أيضًا في اتباعه سياسة استقلالية تجاه أوروبا.ولم يعرف عن عبدالحميد تأثير أي حاكم أوروبي عليه،مهما كانت صداقته

ومهما كانت درجة التقارب بين بلده وبين الدولة العثمانية،وكان عمر عبدالحميد أثناء هذه الرحلة ٢٥عامًا.وعلى الرغم من تأثر الأمير عبدالحميد بالنهضة الحداثية الغربية إلا أنه استطاع بذكائه وخبرته أن يفرق بين أمرين،وهما:الاستعانة بتجارب الأمم والتقنية العصرية، وبالمقابل الحفاظ على أصالة الأمة وقيمها وعقديتها وتراثها.

تولي السلطان عبدالحميد الحكم وإعلان الدستور

تولى عرش السلطنة بالخلافة بعد تنحية أخيه مراد،وذلك يوم الخميس في٣١ آب أغسطس١٨٧٦م.وكان عمره آنذاك أربعًا وثلاثين سنة،وحضرلمبايعته الوزراء والأعيان

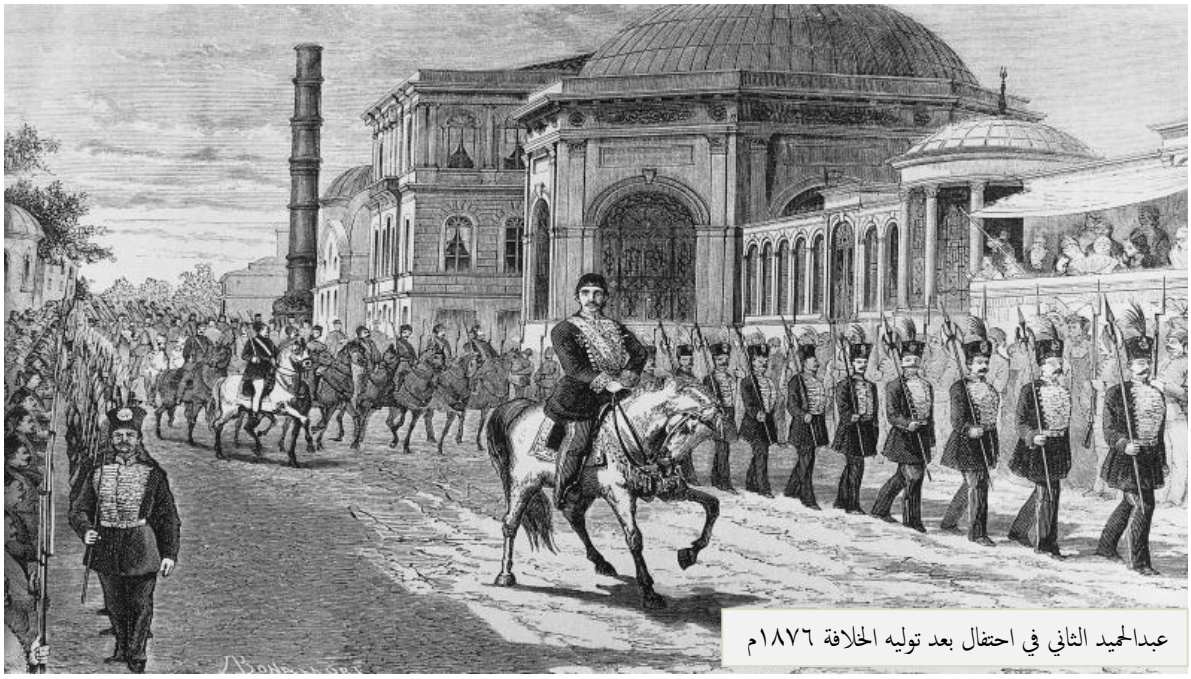

عبدالحميد الثاني في احتفال بعد توليه الخلافة ١٨٧٦م

وكبار الموظفين من مدنيين وعسكريين في سراي توبكابي.وهنأه كذلك رؤساء الطوائف المختلفة،وأطلقت المدافع بسائرأطراف السلطنة احتفالاً بهذه المناسبة.وأقيمت الزينات بجميع جهات إسطنبول ثلاثة أيام وأرسل الصدر الأعظم برقيات إلى دول العالم لإعلامها بذلك. تولى العرش مع اقتراب حرب عثمانية روسية جديدة،وظروف دولية معقدة واضطرابات في بعض أجزاء الدولة،خاصة في البلقان.

تمردات وثورات في البلقان

قام سكان الجبل الاسود والصرب بتحريص بلاد الهرسك للخروج على الدولة العثمانية وكان ذلك في عام ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م،واستطاع العثمانيون إخمادها،ورغب السلطان

عبدالحميد في منع الدول الأوربية من التدخل،فأصدر قراراً بفصل القضاء عن السلطة التنفيذية،وتعيين القضاة بالانتخاب عن طريق الأهالي،والمساوة في الضرائب بين المسلمين والنصارى،ولم يرض بذلك السكان،فعادوا إلى الثورة التي قمعت أيضًا،ولكن النمسا التي كانت وراء الثورة وترغب في ضم البوسنة والهرسك إليها استمرت في تحريض السكان ضد الدولة العثمانية،فعملت النمسا مع روسيا وألمانيا وفرنسا وإنكلترا على الطلب من السلطان بالقيام بإصلاحات فوافق عليها السلطان،ولكن النصارى البوسنة لم يتقبلوا ذلك،وهذا يدل على أن المطالبة بالإصلاحات ليست سوى مبررات واهية وحقيقة الأمر أنهم يريدون التدخل في شؤون الدولة بشكل مباشر وغير مباشر لإضعافها والإطاحة بها،كما قامت ثورة البلغار في نفس الوقت الذي قام فيه نصارى البوسنةوالهرسك بثورتهم بدعم من النمسا والدول الأوربية وخاصةروسيا،فقدتأسست جمعيات في بلاد البلغار لنشر النفوذ الروسي بين النصارى الأرثودكس والصقالبة وكانت تدعمها روسيا وتمدها بالسلاح،وتبذل هذا الجمعيات بدورها جهدها لإثارة سكان الصرب والبوسنة والهرسك،وتحرضهم على الثورة ضد العثمانيين من القضاء على الثورة فاخذت الدول الأوروبية تثير الشائعات عن طريق اكذوبة المجازر التي ارتكبها العثمانيون ضد النصارى!،وأثير بهذه الشائعات الرأي العام الأوروبي ضد الدولة العثمانية وطالبت الحكومات الأوروبية باتخاذ إجراءات صارمة ضد العثمانيين ومنها حصول البلغار على استقلال ذاتي وتعيين حاكم نصراني لهم،وقام الروس والألمان والنمساويون بدفع الصرب والجبل الأسود للقيام بحرب ضد العثمانيين،وكانت روسيا ترغب في توسيع حدودها من جهة بلغاريا،والنمسا تريد توسعة حدودها من جهة البوسنة والهرسك ووعدت هذه الدول أمير الصرب والجبل الأسود بالدعم.وشرع الجنود الروس بالتدفق سراً على البلاد الصرب،والجبل الأسود وتمكنت الدولة العثمانية من الانتصار على الصرب وحلفائهم، فتدخلت الدول الأوروبية وطلبت وقف القتال وإلا فالحرب الواسعة،واجتمع مندوبو الدول الأوروبية في إسطنبول وقدموا اقتراحات للدولة من أهمها:تقسيم بلاد البلغار إلى ولايتين ويكون ولاتها من النصارى،وأن تشكل لجنة دولية

لتنفيذ القرارات،وأن تعطى هذه الامتيازات لإمارتي البوسنة والهرسك أيضًا،وأن تتنازل الدولة عن بعض الأراضي للصرب والجبل الأسود،ولكن الدولة العثمانية رفضت هذه القرارات، وعقدت صلحًا منفرداً مع الصرب سحبت نتيجة جيوشها من بلادالصرب وأن يرفع العلم العثماني والصربي دليلاً على السيادة العثمانية.لقد كان السلطان عبدالحميد الثاني على يقين من أن هدف الدول الغربية هو السعي لإسقاط الدولة العثمانية حيث قال في مذكراته:رأيت أثناء مؤتمر الدول الكبرى الذي عقد في إسطنبول ماعزمت عليه هذه الدول،وهي ليست كما يقولون تأمين حقوق الرعايا المسيحيين بل تأمين الاستقلال الذاتي الرعايا.ثم العمل على استقلال التام.وبذلك يتم تقسيم الدولة العثمانية. كانوا يعملون على تحقيق هذا الهدف على صورتين: الأولى:إثارة الأهالي المسيحيين وإشاعة الفوضى في المنطقة،وبهذا تتصدى هذه الدول لحمايتهم.

والثانية:القول بالمشروطية،لإحداث الفرقة بيننا أنفسنا،واستطاعوا أن يجدوا من بيننا أنصاراً يستخدمونهم في كلتا الغايتين،فلم يستطع بعض الشباب العثماني المثقف أن يفرق بين التطبيق السهل والحكم الدستوري في بلاد تتمتع بوحدة قومية وبين تعذر هذا الحكم في الدول التي لاتتمتع بوحدة قومية.

موقف الدول الأوروبية من النزاع بين روسيا وتركيا

كان موقف النمسا وألمانيا وإيطاليا هو الحياد في أية حرب تنشب بين روسيا وتركيا أما النمسا فكانت قد وقعت اتفاقية بودابست مع روسيا في ١٥يناير١٨٧٧م،نصت هذه التفاقية على بقاء النمسا في حالة الحياد إذا أخفق مؤتمر إسطنبول في الوصول إلى اتفاق في مقابل أن تضم البوسنة والهرسك. أما ألمانيا فإن حيادها كان بسبب رغبتها في الحتفاظ باتفاق القياصرة الثلاثة لـ(روسيا،النمسا،ألمانيا)وذلك للإبقاء على عزلة فرنسا ووضعها بعد خروجها منهزمة في حرب السبعين لتبقى عاجزة عن المطالبة بمقاطعتي الألزاس واللورين،وأما إيطاليا فكانت تريد أن تبني نفسها بعد أن حققت وحدتها وضمت إليها روما،لذا فإن أفضل ما كانت تستطيع فعله هو الأبتعاد عن المشاكل.أما

الدولة العثمانية،د.إسماعيل ياغي.السلطان عبدالحميدالثاني،علي محمدالصلابي.

إنكلترة فإن اهتمامها كان منصبا على الاهتمام بطرقها التجارية إضافة إلى اهتمامها بعدم احتلال روسيا لإسطنبول أو المضايق،وعدا ذلك فلم تكن تهتم بمصير تركيا أو مصير دول البلقان.

الحرب الروسية العثمانية ١٨٧٧م

كانت روسيا ترغب في الوصول إلى المياه الدافئة بسبب عوامل دينية واقتصادية وجغرافية،وقد نص بطرس الاكبر(١٦٢٧-١٧٢٥م) في وصيته للروس"في فقرة التاسعة والحادية عشرة والثالثة عشرة"على ضرورة الصراع الحضاري ضد العثمانيين،إلى أن تنتهي الدولة العثمانية من الحدود.

يقول بطرس الاكبرفي الفقرة التاسعة من وصيته:(نقترب من القسطنطينية والهند بقدر الإمكان.فمن يملك القسطنطينية فقد ملك العالم،بناء على ذلك ينبغي ملازمة الحرب مع العثمانيين). وفي الفقرة الحادية عشرة يقول:(نشارك النمسا فيما قصدناه من إخراج العثمانيين من أوربا).وفي الفقرة الثالثة عشرة يقول:(وبعد التسلط على الممالك العثمانية نجمع جيوشنا وندخل أساطيلنا بحر البلطيق والبحر الأسود ونشرع في تفاوض مع فرنسا ودولة النمسا في قسمة العالم بيننا)[1].

اهتمت روسيا بتلك الوصية،وفي عصر السلطان عبدالحميد الثاني كثرت الثورات بدعم من روسيا والدول الأوروبية في البلقان واليونان وغيرها من الأقاليم العثمانية،ولم تكتف بذلك بذلك بل عملت على قيام دولة نصرانية مستقلة مثل رومانيا،وبلغاريا والصرب واليونان. وبعد أن حقق العثمانيون انتصارات رائعة في دول البلقان،استعدت روسيا للحرب ثم اعلنتها حربًا لا هوادة فيها ضد الدولة العثمانية،وانضمت رومانيا إلى روسيا،ودخل العثمانيون في حرب طاحنة مع الروس،وعبرت الجيوش الروسية نهر الدانوب واستولت على بعض المدن التابعة للعثمانيين ومنها تيرنوه،ونيقولبلي بل،التي تقع في بلغاريا حاليًا،كما استولى الروس على بعض النقاط المهمة والمعابر المؤدية إلى البلقان وقام السلطان عبدالحميد بتغيير كبير في قيادات الجيوش العثمانية للتصدي للغزوالروسي

(١) انظر:مذكرات السلطان عبدالحميد،ص١٤٥.

وقد حاول الروس الاستيلاء على مدينة بلفنة التي تقع في بلغاريا حاليًا وهي من أهم المعابر إلى البلقان،ولكن القائد العثماني الشجاع الغازي عثمان باشا تصدى لهم بكل شجاعة.

ملحمة بليفنا وبطولة عثمان باشا

في ٢٤ ابريل١٨٧٧م بدأت جيوش الحلفاء بالزحف فأرسلت روسيا أحد جيوشها بقيادة الدوق نيكولاس ومعه٢٠ ألف مقاتل نحو نهر الدانوب واتجهوا نحو مدينة نيقوبوليس(تقع في جنوب بلغاريا حاليا)،فوصل الخبر إلى السلطان عبدالحميد فجهز١١ ألف مقاتل وجعل عليهم عثمان باشا ذا الـ ٤٥ عاما وأرسلهم سريعا لينقذوا المدينة من السقوط،إلا أن الخبر جاء لعثمان باشا وهو في منتصف الطريق بأن المدينة قد سقطت فرجع عثمان بقواته إلى مدينة بليفنا وقرر التحصن بها استعدادا لصد الهجوم لأنها المدينة التالية بعد نيقوبوليس.

فبدأ عثمان باشا باستكمال الدفاعات،وفي يوم١٩يوليو ظهر الروس في الأفق واستشعر

الجميع بأن الوقت قد حان للدفاع عن الوطن،وأمر قائد الروس الجنرال شولدنر فور وصوله المدفعجية بالقصف،وبعد ساعات أمر جنوده بالهجوم(كانت الحرب قبل ظهور الكلاشينكوف والمدافع الرشاشة مزيجا من البنادق والسيوف وكان على البنادق

رؤوس حادة كالخناجر للدفاع عن النفس،لأن البنادق القديمة بعد الإطلاق يلزم إعادة تعبئتها برصاصة وسحب زناد الأمان وهي عملية طويلة نسبيا،فكان السيف سلاحا أساسيا حتى ذلك الزمن)،واستولوا على الخنادق الأمامية إلا أن عثمان باشا أرسل تعزيزات لدعم الخطوط الأمامية،وقاد هجمات مضادة تمكن خلالها من استرجاع الخنادق وقُتل من الروس ٣٠٠٠ رجل ومن العثمانيين ٢٠٠٠ شهيد.

بعد عدة أيام،وصل الأمير كارول الروماني بالتعزيزات ووصل فيلق روسي،فأصبح إجمالي قوات الحلفاء ٣٥ ألف مقاتل و١٧٦مدفعا،وأرسل السلطان عبدالحميد التعزيزات لعثمان باشا فوصلت قواته إلى ٢٢ ألف مقاتل و٥٨ مدفعا،وقاد الأمير كارول جيش الحلفاء. وفي يوم٣١ يوليو أصدر الأمير الأمر بالهجوم من ثلاث جهات فهاجم الفرسان من الجانبين والمشاة من العمق وكان يوما شديدا،حيث كانت المدافع تقصف المدينة وعثمان باشا على فرسه يحرض مقاتليه على الصمود وانجلى الغبار عن ساحة المعركة في آخر اليوم وقد امتلأت بالجثث والأشلاء،واستطاع عثمان باشا أن يصد الهجوم وكانت الحصيلة ٧٣٠٠ قتيل من الحلفاء و٢٠٠٠ شهيد عثماني فأصدر السلطان عبد الحميد فرمانا خاصًا في الثناء على عثمان باشا.

استمر الوضع كما هو طيلة شهر أغسطس،لكن في أحد الأيام نظم عثمان باشا فرقة من الفرسان الاشداء،ليشنوا هجوما مفاجئا على جيش الحلفاء وفي ساعة غفلة انطلقت صيحات يا الله"وهجمت"فرقة الفرسان"على الجيش فتفاجأ الحلفاء بالهجوم بادئ الأمر إلا أنهم استطاعوا أن يصدوا الهجوم،ورغم أن الفرقة قتلت١٣٠٠رجل من الحلفاء إلا أنه استشهد منها قرابة ١٠٠٠ شهيد.

تأزم الوضع جدا على عثمان باشا ومن معه،حيث وصل الجنرال الروماني ألكساندرو ومعه ٤٥ ألف مقاتل ووصل القيصر الروسي ألكسندر الثاني بنفسه ليدعم الجند ومعه ٨٠ ألف مقاتل،ليصل بذلك تعداد جيش الحلفاء إلى١٥٠ ألف مقاتل،وأرسل السلطان عبدالحميد١٣ كتيبة إلى عثمان باشا ولم يستطع المساعدة باكثر من ذلك لأن

عليه أن يمد كل جبهات القتال الأخرى الأسوأ حالا من جبهة بليفنا،وأصبحت قوات عثمان باشا ٤٨ ألف مقاتل.

وفي ١١سبتمبر شن الحلفاء هجوما واسع النطاق بحضور القيصر شخصيا ليشاهدهم ويدعمهم،وكان القيصر وشقيقه الدوق نيكولاي يشاهدان المعركة من على تل بمنظار وتعرض العثمانيون لضغط شديد نظرا لعدم التكافؤ،ليخسر عثمان باشا عددا من الخنادق والمقرات الدفاعية وهو ما اضطرهم للتراجع،واستمر الهجوم لعدة أيام،وحاول عثمان باشا أن يسترد ما فقده من مواقع فقاد سلسلة من الهجمات المضادة إلا أن الوضع كان أصعب بكثير ولم يستطع أن يسترد كل ما فقده،وكانت حصيلة تلك الهجمات ٢٠ ألف قتيل من الحلفاء و ٨٠٠٠ شهيد عثماني.

بعد ذلك توقف الهجوم جزئيا نظرا لكثرة الخسائر،وفي هذه الأثناء رجع القيصر إلى روسيا وأرسل رئيس الأركان ليقود المعركة شخصيا،وهو الجنرال إدوارد تودلبن وعند وصوله أمر بحصار المدينة من الجهات الأربع وساعده في ذلك كثرة جنده،بعد أن طوقت المدينة بدأ القصف من كل الجهات وقبل أن يتم التطويق كان عثمان باشا قد علم بالأمر فأرسل فورا إلى السلطان عبدالحميد يعلمه بتأزم الوضع وطلب السماح له وللجند بالتراجع وترك بليفنا لترتيب الصفوف ومداواة الجرحى وإعادة تجهيز المقاتلين،ثم معاودة القتال،إلا أن عبدالحميد رفض طلبه وحثهم على القتال والصبر.

وتوقفت كل الإمدادات عن العثمانيين المحاصرين واستمرالقصف عدة أيام وسقط الكثير من الشهداء،وخسر عثمان باشا الكثير من الخنادق وتراجعوا كثيرا،حيث أيقن حينها أن الجيش سيهزم فعزم على الهجوم الكامل فإما أن يكسروا الحصار وينتصروا واما أن يستشهدوا،وفي ليلة ٩ ديسمبر بعد أن هدأت الأجواء نسبيا،صاح عثمان باشا وهو على فرسه"بسم الله الرحمن الرحيم"وخرج الجنود العثمانيون من الخنادق ومن خلف اكياس الرمال ومن الحفر ومن كل مكان،وركض الجميع مشاة وفرسانا نحو جيش الحلفاء،وتفاجأ خطهم الأمامي وبدأ بإطلاق النار،إلا أنهم لم يستطيعوا صد الهجوم وكسر خطهم الأول واستولى العثمانيون على مدافعهم وأداروها باتجاههم وبدأوا بالقصف

وعثمان باشا على فرسه يتقدم الجند،وأطلق الخط الثاني النار إلا أن الهجوم كان كثيفا فكسروا ولاح النصر في الأفق للعثمانيين فجاءت المساندة من كل الجهات إلى الجهة التي خرج منها عثمان باشا.

وجاء الأمير كارول ومن معه ليصدوا الهجوم،في وقت اقتحم فيه عثمان باشا الخط الثالث وكانت الرؤية صعبة بسبب دخان المدافع والغبار الصاعد من حوافر الخيل وفوق ذلك ظلمة الليل،ووصل الدعم سريعا وتكاثر عليهم الجند وبدأت الكفة تميل للحلفاء،حيث أصيب عثمان باشا في قدمه وقتلت فرسه وشاع مقتل عثمان باشا ففت ذلك في عضد العثمانيين وبدأوا بالتراجع نحو المدينة،وما أن وصلوا إليها حتى وجدوا فوهات البنادق موجهة نحوهم،فقد استولى عليها الحلفاء عند خروجهم منها،فوجد العثمانيون نفسهم في العراء بين فكي كماشة ليستسلموا ويلقوا أسلحتهم،وسلم عثمان باشا

عثمان باشا

سيفه بصفته القائدعلامة على الاستسلام وانتهت المعركة التي دامت١٤٣يوما بانتصار الحلفاء،ولم يرجع من جيش عثمان باشا الذي كان ٤٨ ألفا إلى الديار سوى١٢ ألفا فقط أما الباقي فبين مفقود وشهيد،كانت حصيلة هجوم العثمانيين الأخير الذي استمر ساعات قليلة أكثر من٥٠٠٠ قتيل من الحلفاء و٢٠٠٠ شهيد عثماني،وهنأ قادة جيش الحلفاء عثمان باشا على دفاعه المشرف،ورفض عثمان باشا مصافحة قائد الحلفاء وعومل بمنتهى الاحترام مقابل ما قدمه من قتال مشرف ومن بطولة في دفاعه عن وطنه،وقدانتشرت مقاومة عثمان باشا في كل أوروبا وتم إرساله إلى روسيا واستقبله القيصر في قصره

وقال له تلك الكلمات التي حفظها التاريخ إلى يومنا هذا "أهنئك على دفاعك الرائع،إنه واحد من أفضل الأعمال في التاريخ العسكري،وأعاد له القيصر شخصيا سيفه تكريما له ومكث في روسيا أسبوعين حتى شفيت جراحه ثم أطلق سراحه ورجع إلى إسطنبول واستقبله السلطان عبدالحميد ولقبه بالغازي،وهو لقب يطلقونه على المجاهدين الكبار وقربه عبد الحميد حتى جعله وزير الحربية،نال الغازي عثمان باشا عدة أوسمة ونياشين عسكرية وهناك مارش عسكري عثماني في الثناء عليه،توفي عام١٩٠٠م ودفن في المقبرة السلطانية بجوار السلطان محمد الفاتح.وقد شجعت تلك الانتصارات الروسية الصرب في البلقان على التحرك ضد العثمانيين وقامت جيوشهم بالهجوم على المواقع

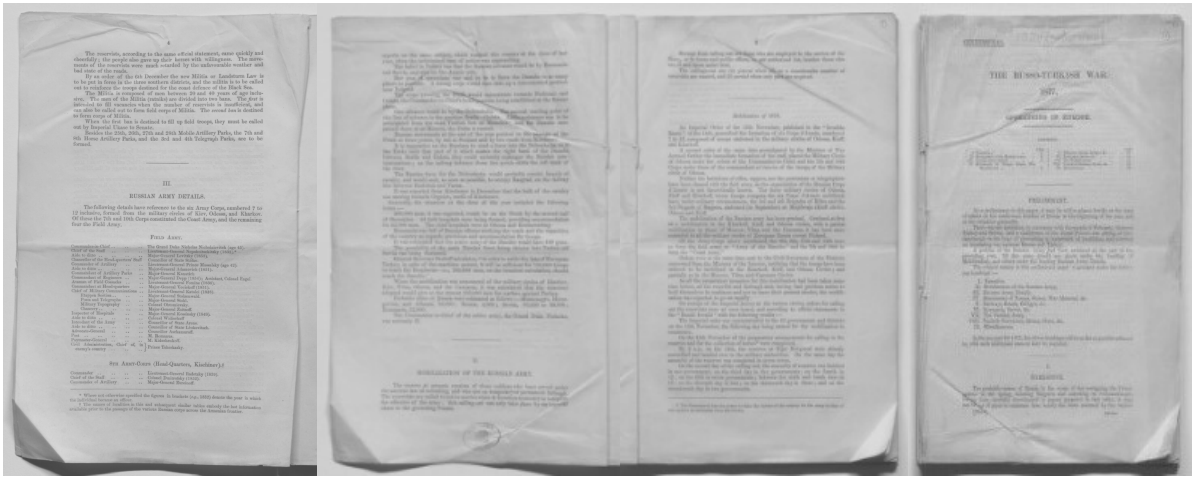

وثائق الحرب الروسية- العثمانية،١٨٧٧م.العمليات في أوروبا محتويات السجل:مادة واحدة(٣٣ ورقة).يعود تاريخه إلى١٨٧٧م.
اللغة أو اللغات المستخدمة:الإنجليزية النسخة الأصلية محفوظة في المكتبة البريطانية.

العثمانية هناك،فأشغلهم عن الروس،الذين كانوا في الوقت نفسه يسعون لإحتلال مناطق جديدة.وبالفعل تمكن الروس من الاستيلاء على صوفيا(عاصمة بلغاريا حاليًا) ولم يكتف الروس بهذا،بل توجهوا جنوبًا ناحية العاصمة العثمانية القديمة،ووصلوا إلى مواقع لا تبعد سوى خمسين كيلومترًا عن إسطنبول،وأصبح الموقف داخل الدولة العثمانية سيئًا إلى أبعد الحدود،وفي الوقت نفسه كانت تجري العديد من المعارك بين العثمانيين والروس في الجانب الآسيوي حيث وصل الروس إلى الأناضول،ومع ذلك تمكن العثمانيون من هزيمتهم ومطاردتهم داخل الأراضي الروسية وانتصر العثمانيون بقيادة أحمد مختار باشا على الروس في اكثر من ست معارك،مما جعل السلطان

عبدالحميد يصدر مرسومًا في الثناء عليه،وقد عاود الروس الهجوم في تلك المناطق مرة أخرى وتمكنوا سنة ١٢٩٥هـ من إنزال الهزائم بالقوات العثمانية والاستيلاء على بعض المناطق في الأنضول نفسها وأما تلك الهزائم العثمانية في أوربا[١] وفي آسيا اضطرت الدولة العثمانية للدخول في هدنة مع الروس وقبول المفاوضات معهم،حيث وقعت بين الطرفين معاهدة سان ستيفانو عام١٨٧٨م.وعقد هذه المعاهدة في٣مارس ١٨٧٨م،ووقعها صفوت باشا عن الدولة العثمانية وهو يبكي،وكان لابد بالضرورة أن تحتوي هذه المعاهدة على شروط مجحفة بالدول العثمانية[٢].

معاهدة سان ستيفانو

معاهدة سان ستيفانو٣ مارس١٨٧٨م.

معاهدة سان ستيفانو:هي اتفاق فرضته روسيا على الحكومة العثمانية بتاريخ٣ مارس ١٨٧٨م،في قرية سان ستيفانو(يسيلكوي حاليا) بالقرب من إسطنبول،وضع حدا للحرب الروسية- العثمانية التي بدأت في أفريل ١٨٧٨م.كانت روسيا بواسطتها ترمي على إنهاء أي حكم فعلى للدولة العثمانية في البلقان،مضمونها:

كان أهم قراراتها ينص على تأسيس بلغاريا كبرى(تضم بلغاريا ،والروميللي،ومقدونيا) تتمتع بالحكم الذاتي ضمن الإمبراطورية العثمانية،وفي الواقع تكون تحت السلطة

(١) السلطان عبدالحميدالثاني،لعلي محمدالصلابي. (٢) الدولة العثمانية:عوامل النهوض وأسباب السقوط،لعلي محمدالصلابي.

الروسية إذ أن روسيا هي التي تعين العاهل البلغاري.بامتدادها من الدانوب إلى البحر الأسود وبحر إيجة،تفتح مملكة بلغاريا الكبرى هذه أبواب البحر المتوسط لروسيا.

الحدود المقترحة في معاهدة سان ستيفانو ١٨٧٨م

كما نصت المعاهدة على الاعتراف باستقلال صربيا،الجبل الأسود،رومانيا ومنح الحكم الذاتي للبوسنة والهرسك،من جهة أخرى تتوسع روسيا بضم أقاليم:قارص،وباطوم وبيسارابيا الجنوبية التي تنتزعها من رومانيا(وتحصل رومانيا،مقابل ذلك،على دوبروجا من الدولة العثمانية).كما منح السلطان العثماني ضمانات بسلامة رعاياه المسيحيين[1].

(١) انظر:السلطان عبدالحميد الثاني،ص٢٦،للصلابي.

رد فعل الإمبراطورية النمساوية المجرية وبريطانيا

نظرا لكونها تهديدا التوازن الأوروبي،أغضبت بنود اتفاقية سان ستيفانو الحكومة النمساوية المجرية التي لم يعجبها تشجيع الروح القومية السلافية.كما أغضبت الحكومة البريطانية التي فزعت من أن تكون مملكة بلغاريا تابعا يدور في فلك روسيا وبذلك تهدد إسطنبول والحوض الشرقي للبحر المتوسط.

هددت الدولتان روسيا بإعلان الحرب عليها إن لم تقبل هذه الأخيرة بمراجعة الاتفاقية.

ونظرا لكون روسيا سيئة الاستعداد،من الناحية العسكرية،قبلت بالالتحاق بطاولة المفاوضات في مؤتمر برلين في جوان وجويلية ١٨٧٨م،الذي صحح بعمق قرارات سان ستيفانو.

معاهدة برلين ١٨٧٨م محاولة هدم معاهدة سان ستيفانو(من قبل الدول الأوروبية)

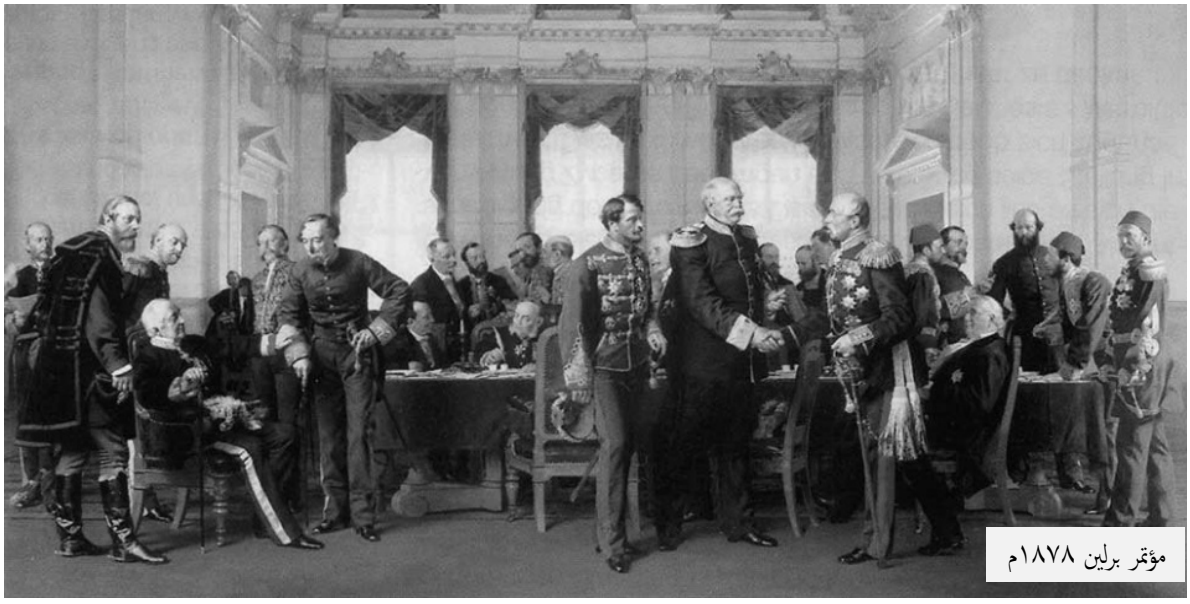

مؤتمر برلين ١٨٧٨م

تعريف مؤتمر برلين ١٨٧٨م

يعرف مؤتمر برلين بأنه المؤتمر الذي تم عقده في برلين في الفترة الواقعة بين الثالث عشر من يونيو وحتى الثالث عشر من يوليو من عام ١٨٧٨ ميلادي،حيث تم عمل لقاء يجمع بين القوى الأوروبية الكبرى والدولة العثمانية العليا،وذلك بعد الصحوة من الحرب الروسية العثمانية التي وقعت بين عامي١٨٧٧وحتى ١٨٧٨ميلادي،وقد كان الهدف الرئيسي لهذا لمؤتمر هو إعلان استقلال دول البلقان عن حاضرة الخلافة العثمانية

بالإضافة إلى إعادة صياغة معاهدة سان ستيفانو،وإبقاء السيطرة العثمانية على إسطنبول،حيث حاول مضيف المؤتمر أوتوفون بسمارك الموازنةبين الأطماع الإمبراطورية الروسية،والمملكة المتحدة،والإمبراطورية النمساوية المجرية.

وقد اعترف المؤتمر بشكل رسمي باستقلال كل من الجبل الأسود،وصربيا،ورومانيا لتصبح هذه الدول هي الدول السابعة والعشرين،والثامنةوالعشرين،والتاسعة والعشرين المستقلة في العالم...وأهم الشخصيات في هذا المؤتمر هم:محمدرؤوف باشا بن عبدي باشا الجركسي،وأوتوفون بسمارك،وبينجامين دزرائيلي،وروبرت سيسل،والأمير شلودفيغ.

قرارات مؤتمر برلين الأول ١٨٧٨م:الاتفاق على أن تصبح بلغاريا إمارة مستقلة تقع تحت سيادة السلطان العثماني مع ضرورة تشكيل حكومة مسيحية خاصة بها بالإضافة إلى جيش وطني. فصل الروملي الشرقي عن بلغاريا الكبرى وجعله تحت الحكم العثماني مباشرة. وضع البوسنة والهرسك تحت الحكم النمساوي،مع ضرورة بقاء سنجق نوتي بازار تحت حكم الإدارة العثمانية.استقلال كل من الجبل الأسود،والصرب،ورومانيا وضم بسرابيا إلى روسيا. تنازل الدولة العثمانية عن أردهان،وقارص،وباطوم لدولة روسيا. تنازل الباب العالي عن إقليم ختر لدولة فارس. تعهد الباب العالي بتحقيق إصلاحات عديدة وسريعة في دولة أرمينيا، والتعهد أيضًا بحماية الأرمن والشركس. تعهُد الباب العالي بتطبيق حرية الاعتقاد الديني في الدولة العثمانية،مع ضرورة ألاتكون عقيدة الشخص عقبة أمامه للحصول على كافة حقوقه السياسية والدينية.حرية الملاحة في الدانوب. حق القنصلية في توفير الحماية الكاملة لرعاياها.

كانت معاهدة برلين هي المرحلة الثانية بعد معاهدة كارلوفيتس١٦٩٩م،في تصفية الدولة العثمانية في أوروبا،والتي ختمت بمعاهدة بوخارست١٩١٣م،التي اعترفت بالاستقلال التام لثلاث إمارات تابعة لها هي رومانيا وصربيا وقرة داغ.

يلماز أزوتونا- تاريخ الدولة العثمانية- منشورات مؤسسة فيصل للتمويل- تركيا-١٩٩٠م.محمد فريد- تاريخ الدولة العلية العثمانية- تحقيق إحسان حقي- دار النفائس- بيروت- الطبعة التاسعة- ٢٠٠٣م. علي محمد الصلابي- الدولة العثمانية- دار التوزيع والنشر الإسلامية- القاهرة- الطبعة الأولى- ٢٠٠١م.

جبهة الأنضول

هذه الجبهة كانت أقل أهمية من جبهة الدانوب ومع ذلك فقد جربت فيها معارك ضاربة. عندما بدأت الحرب كان عدد الجنود الأتراك الموجودين على حدود قفقاسيا ٩٠٠٠٠ جندي مع ٩٧ مدفعا،وكان القائد العام هو المشير أحمد مختار باشا الموما إليه سابقا. والمشير درويش باشا كان قائدا على الفرقة الموجودة في باطوم بينما سلمت قلعة أرضروم لوالي أرضروم المشير إسماعيل باشا. ولا يفوتنا أن نشير إلى أن العلاقات لم تكن على ما يرام بين هؤلاء القواد. أما الروس فكان قائدهم الجنرال تلكوف(الأرمني الأصل)على رأس جيش تعداده ١٢٥٠٠٠جندي مع ١٢٩مدفعا،هذا بالإضافة إلى القوات والمدافع التي كانت ترسل إلى هذه الجبهة باستمرار لشد أزر هذه القوة.

بدأت المعارك باستيلاء الروس بقيادة الجنرال تركوكاس على(بايزيد)في ٣٠ نيسان وعلى (أردهان) في ١٧مارت،ولكنه مني بالهزيمة في معركة(ميدان هالياز)التي كان يقود الجيش العثماني فيها المشير أحمد مختار باشا،وفي ٢٥ حزيران تقابل القائدان ملكوف وأحمد مختارباشا في معركة(زفين)وفيها مني الجيش الروسي بهزيمة منكرة وطورد من قبل الجيش العثماني حتى حدود روسيا،مماحدا بقيصر روسيا إلى عزل الجنرال ملكوف عن قيادة الجيش وتعيين شقيقه الأصغر(المارشال الغورندوق ميخايلو)بدلا عنه،في ٢٥ أغسطس ربح المشير أحمد مختار باشا معركة مهمة وهي معركة(كديكلار) وبعد هذا الانتصار الكبير أنعم السلطان عبد الحميد برتبة(الغازي) على المشير أحمد مختار باشا وأرسل برقية يحيي فيها كل جندي وضابط.

وفي٢٤ تشرين الأول ربح الجيش العثماني معركة أخرى وهي معركة(ياهنيلار) إذ تغلب بقوة كان قوامها ٣٤٠٠٠ جندي على الجيش الروسي الذي كان قوامه ٧٤٠٠٠ جندي وكانت خسارة الجيش التركي ٢٥٠٠٠جندي مقابل خسارة ١٠٠٠٠جندي روسي[١] وقد أبدى المير محمد مختار باشا في هذه المعركة شجاعة نادرة،قال الغازي أحمد مختار باشا[٢]:(كان هذا العسكري الضخم الجثة وبصوته الجهوري الخاص به،يحث الجنود بكلماته الحماسية ويتجول بينهم وسط المعركة من الصباح حتى المساء،وكان الجنود

عندما يرونه بينهم يزدادون حماسة ولا يبالون بالنيران المتساقطة على رؤوسهم وكأنها قطع من الجحيم[٣]).كانت هذه المعركة الأخيرة التي انتصرت فيها الجيوش العثمانية في هذه الجبهة،إذ أن الخسائر المتلاحقة التي منيت بها الجيوش الروسية دفعت القيصر إلى إرسال التعزيزات المتلاحقة إلى هذه الجبهة بحيث إن الفرق بين الجيشين من ناحية العدد والمعدات أصبح كبيرا جدا. ولهذا ففي معركة (الاجاداغ) التي وقعت في ١٥ تشرين الثاني في هذه الجبهة،والتي كانت القوة الروسية تملك ٢٧ فوجا من الفرسان و٧٩سرية مشاة مع ٢٥٤مدفعا وهي قوة متفوقة جدا على الجيش العثماني الذي كان بقيادة أحمد مختار باشا. في هذه المعركة أسر الفريق عمر والحاج رشيد باشا مع القوة المركزية التي كانت تحت قيادتهما والبالغة٦٠٠٠ جنديا لذا اضطر أحمد مختار باشا إلى الانسحاب بجيشه إلى أرضروم منقذا بذلك بقية جيشه من الدمار،وكان انسحابه هذا أنموذجا من الانسحاب العسكري الناجح الذي درس لسنوات عديدة في كليات الأركان في كثير من الدول الأوروبية[٤] بعد أن انسحب المشير أحمد مختار باشا إلى أرضروم سقطت(قارص) في ١٨ كانون الأول،واستدعي المشير أحمد مختار باشا إلى إسطنبول بدعوة من السلطان لكي تناط به مهمة الدفاع عن إسطنبول بعد أن عين إسماعيل باشا قائدا عاما لهذه الجبهة.وقد اضطرت الجيوس الروسية للتوقف في الطريق بين أرضروم وقارص ولم تستطع المزيد من التقدم.

---

(١) Buyuk Turkiye Tarihi, Yilmaz Oztuna, Otuken Yayinevi, Istanbul, ٧/١٥٦.

(٢) انظر:معركة كديكلار ص٢٥٥،لأحمد مختار باشا

(٣) Izanhli Osmanli Tarihi Kronolojisi, I. H. Danismend, ٤/٣٠١.

(٤)Buyuk Turkiye Tarihi, Yilmaz Oztuna, ٧/١٥٦.

نينه خاتون نموذج المرأة الأنضولية المجاهدة

نينه خاتون،إنها المرأه العثمانية التي يعرفها الروس جيدا إلى يومنا هذا،هي بطلة شعبية تركية،عُرفت ببسالتها في قتال الجنود الروس في ساحة المعركة،بعد الاستيلاء على حصن العزيزية في مقاطعة أرضروم،من قبل القوات الروسية،في بدايةالحرب الروسية التركية،التي وقعت في الفترة ما بين١٨٧٧- ١٨٧٨م.كانت نينه خاتون تعيش في حي من أحياء أرضروم،في الدولة العثمانية،يعرف باسم العزيزية.

وكان هذا الحي،يقع بالقرب من أحد الحصون الهامة التي كانت تدافع عن المدينة ضد جحافل الجيوش الروسية،وفي ليلة السابع من تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٨٧٧م،قام الجيش الروسي بالاستيلاء على حصن العزيزية،بعد أن قتل كل الحامية العثمانية التي استبسلت في القتال،وقد كان الجيش الروسي في تلك الحرب ثلاثة أضعاف الجيش العثماني إضافة إلى تفوقه الكاسح في عدد المدافع،وشاركت معه قوات رومانيا وبلغاريا وصربيا والجبل الأسود،وقد جرت كثير من المعارك في الحرب في القوقاز،والبلقان تخللتها هزائم وانتصارات،نجح خلالها الجيش العثماني في البداية بدحر الروس،رغم تفوقهم في العدد والسلاح في القوقاز،ومطاردتهم إلى داخل الأراضي الروسية،تحت

قيادة المجاهد أحمد مختار باشا سالف الذكر،لكن الروس عززوا قواتهم،واستطاعوا تحريض عدد من الزعماء القبليين في شرق الأناضول،على القيام ببعض القلاقل ضد التجنيد الإلزامي،ورفض تقديم المساندة للقوات العثمانية،فلم يتلقى القائد أحمدمختار باشا

أحمد مختار باشا

حينها تعزيزات.استعاد الروس المواقع التي استولى عليها العثمانيون داخل أراضيهم ثم تخطوا خط الحدود السابق،واحتلوا عددًا من المدن داخل الأراضي العثمانية،لكن توقف

تقدمهم عند أرضروم التي شارك أهاليها الجيش العثماني في الدفاع عنها،حتى اشتهر من أبطال المقاومة فيها الفتاه نينة خاتون.والحكاية أنه كان لدى نينة خاتون شقيق يدعى حسن،توفي متأثراً بجراح شديدة للغاية في مساء يوم المعركة،بعد أن أثبت بسالته وشجاعته في الحرب،وفي الدفاع عن أرضه ضد الغزاة الروس.

نينة خاتون

وفي الصباح،عندما وصل إليها خبر استيلاء الروس على حصن العزيزية،قبلت شقيقها المتوفى،وأقسمت أن تنتقم لموته،ولله،وللوطن الجريح.تركت نينه وراءها في المنزل،ابنتها الصغيرة،ذات الأشهر الثلاثة،ودموعها تمتزج بدموع ابنتها التي ستفارقها،وانضمت إلى الأهالي،الذين قرروا لقاء العدو،انتقاما للدين والوطن ولشباب الجيش،الذين قاتلوا حتى قُتلوا.

واصطحبت نينه معها بندقية شقيقها المتوفى،بالإضافة إلى فأس صغيرة.ومع أن الهجمات قام بها المدنيون العثمانيون،ومعظمهم من النساء وكبارالسن،المسلحين بالفؤوس ومعدات الزراعة،إلا أنها كانت في عيون الجيش الروسي أقوى من جيوش العالم.زحف الأهالي بسلاحهم البسيط،ليواجهوا الترسانة الروسية،وكانت في مقدمتهم نينه خاتون،التي أخذت تركض حتى سبقت الأهالي في الهجوم،في نظرهم هي معها فأس وبندقية فقط لكنها كانت ترى أن الله معهم ضد الظلم والاحتلال.

نينة خاتون مع الجنود العثمانيين

تجهز الجيش الروسي،وهو يرتجف،فهو لا يقابل جيشًا ولا أسلحة ثقيلة،إنه يقابل قلوب كالجبال والحديد،ابتدأ القتال وقُتل مئات من المدنيين العثمانيين برصاص الجانب الروسي ولكن غلبت الكثرة والإصرار والحق في النهاية،واستطاع الأتراك دخول الحصون بعد أن كسروا أبوابها الحديدية.وأسفر القتال الذي دار بالأيدي والفؤوس والسكاكين،عن مقتل نحو٢٠٠٠جندي روسي،وهرب بقية الجنود الروس،وعندما عُثر على نينه خاتون كانت فاقدة الوعي ومصابة،وكانت يداها المخضبتان بالدماء لا تزال تقبضان بشدة على فأسها،وكانت نينه خاتون باعتراف الجميع هي الاكثر بطولية،وأصبحت رمزاً للشجاعة ليس في تركيا فقط بل في روسيا والعالم أيضا،وعاشت نينه خاتون بقية حياتها في

العزيزية،وفي السنوات التالية،فقدت زوجها وابنها يوسف الذي قُتل في الحرب العالمية الأولى،وتحديدًا في معركة جاليبولي.

وبعد حرب الاستقلال التركية،قام الجنرال الأمريكي ريدجواي بزيارتها في عام١٩٥٢م وعندما سألها عما إذا كان من الممكن أن تشارك في حرب جديدة،أجابته بقولها بالتاكيد سأفعل.وفي عام١٩٥٤،كانت نينه خاتون هي آخرمن تبقى على قيدالحياة،من المشاركين

في الحرب الروسية - التركية،التي وقعت في الفترة ما بين١٨٧٧-١٨٧٨م.وقام كذلك بزيارتها قائد الجيش التركي الثالث،الجنرال براناسيل،ومنذ ذلك الوقت،وحتى وفاتها عُرفت نيني خاتون باسم أم الجيش الثالث، وحصلت على لقب أم الأمهات في عيد الأم في عام١٩٥٥م.وتوفيت نينه خاتون نتيجة الإصابة بمرض الالتهاب الرئوي،في الثاني والعشرين من أيار/مايو عام١٩٥٥م،عن عمر يناهز الثامنة والتسعين عاما،ودُفنت في مقبرة الشهداء،بحصن العزيزية.

وتم تصوير شخصية نينه خاتون في الفيلم التركي،الذي تم إنتاجه في عام١٩٧٣م،تحت عنوان غازي كادين(نينه خاتون)،ومثل البطولة توركان شوراي،وقادر اينانير،وكان هناك فيلم ثان بعنوان نينه خاتون صدر في عام٢٠١٠م.

تواطؤ السكان الأرمن مع الروس ضد الخلافة العثمانية

ولمعرفة الحقيقة التي ربما تكون غائبة عن بعض المسلمين.بدأ بعض الأرمن تاريخيًا بالانحياز والتحالف مع روسيا المعادية للخلافة العثمانية منذ مطلع القرن الثامن عشر وكمثال على ذلك التحالف والانحياز:كانت المدينة العثمانية دربند تحت الحصار الروسي عام١٧٩٦م فأرسل سكانها الأرمن إلى الغزاة الروس معلومات عن مصادر الإمداد المائي للمدينة مما أتاح للروس أن يهزموا حاكم المدينة العثماني.وساعد الأرمن الأناضوليون الجيوش الروسية الغازية في عام١٨٢٧م،كما مهد المرشدون الجواسيس من الأرمن الطريق للغزاة الروس في عام١٨٧٧م،وشاعت تمردات الأرمن على الحكومة العثمانية في كل أنحاء الشرق بعد عام١٨٩٠م،وشكل الأرمن عصابات لقتال المسلمين بمساعدة روسيا القيصرية،ومارست هذه العصابات إرهابا منظما ضد رعايا الدولة العثمانية،حيث كانت تبيد مدائن وقرى كاملة كانت عامرة بالمسلمين،وتجبر من تبقى على قيد الحياة منهم على النزوح القسري،ليستولوا بعد ذلك على كل ممتلكاتهم وفي الحرب العالمية الأولى وصل الصراع بين الأتراك والأرمن إلى ذروته،وشهدت الفترة ما بين ١٩١٤-١٩٢٠م أسوأ الحروب في تاريخ الإنسانية.الضعف العثماني والاحتلال الروسي لمناطق في الشرق العثماني والتدخل الأوروبي،كل ذلك صب في تحول التعصب الأرمني ضد المسلمين إلى آلة دمار شامل حولت آلاف القرى إلى خراب، مع قتل مئات الآلاف في مناطق الأناضول والقوقاز،وتوجد٨٩ وثيقة عثمانية،وتقريرين عسكريين روسيين وتقرير لجنة برلمانية تابعة للحكومة الأميركية،تقر بذلك،استطاعت هذه الوثائق إحصاء اكثر من نصف مليون ضحيةمن المسلمين المدنيين وجنودالجيش ولم تتمكن من إحصاء جميع القتلى،إذ إنه حدث الكثير من المذابح وأبيدت قرى بكاملها ولم ينج منها أحد ليروي الحادثة. وفي الكثير من هذه القرى تم التخلص من الجثث بإلقائها في المجاري المائية والآبار،أو إحراق الجثث،أو هدم البيوت عليها وتركها تحت الأنقاض،أو عمل مقابر جماعية لها،وبالتالي لم يكن من المستطاع حصر وتعيين أعداد هؤلاء الضحايا.

السلطان عبدالحميدالثاني،أورخان محمدعلي.

ومن ضمن الوثائق:شهادة أحد الطلاب الروس في كلية طب موسكو وممرضة روسية تدعى ناتاليا كاراملي تعمل بالصليب الأحمر الروسي،أن الأرمن كانوا يرتكبون أعمال العنف بشراسة ضد السكان المسلمين وخاصة النساء والأطفال في ضواحي بايبورت وأسبير. أحد قادة العصابات الأرمنية المسلحة ويدعى أرشاك كان ينسق أنشطته مع قائد أرمني آخر شهير يدعى أنترانيك،وكانا يمارسان ذبح الأطفال خاصة. ومن الجرائم المنسوبة لهما بشهادة الطالب والممرضة،ذبح أطفال كانوا يأوون إلى ملجأ أيتام،كما ذبحوا كل الأسرى الأتراك الذين وقعوا تحت أيديهم.وعندما أُجبرت عصابات الأرمن على التراجع،قاموا باغتصاب السيدات والفتيات المسلمات،واغتالوا أيضا في طريق عودتهم ٥٠ طفلا تركيا.ووثائق الحرب العالمية الأولى تؤكد أن ما حدث من الأرمن كان استهدافا للمدنيين بصفة رئيسية وأولى،فحصيلة القتل التي تتحدث عنها الوثائق،ليس من بينها قتل للعسكريين الترك. بل إن ظهور العسكر كان يعني توقف الذبح في منطقة لتنسحب العصابات الأرمنية لتمارس الذبح والاغتصاب الممنهج في منطقة أخرى.

(مجازر نفذها الأرمن بحق المسلمين الأتراك) أهالي أرضروم يصلون ويدعون لشهدائهم في مقبرة المدينة

واستغل الأرمن هذه الأوضاع في تخطي الأوامر التي تقيد حركتهم ضد الأتراك المسلمين في أثناء الحرب(كانت روسيا تغض الطرف عما يرتكبه الأرمن ما دامت في

طي الخفاء). وتأتي شهادة الليفتانت كولونيل توارد و خليبوف القائد الروسي تاكيدا لجرائم الأرمن ضد المدنيين الترك.

يقول خليبوف:في سنة ١٩١٦م عندما احتل جنودنا الروس مدينة أرضروم،لم يُسمح لأرمني واحد بدخول المدينة أو الدنو من ضواحيها.ويضيف لكن الحال تبدلت بعد الثورة الروسية،وتم العدول عن هذه الاحتياطات،فانتهز الأرمن الفرصة لمهاجمة أرضروم وضواحيها،وشرعوا يسلبون المنازل وينهبون القرى ويذبحون الأهالي،ولم يجرؤ الأرمن مطلقا خلال الاحتلال الروسي على الإمعان في أعمال القسوة والوحشية علنا ولكن كانوا يقتلون وينهبون في الخفاء،ولكن لم يحل عام ١٩١٧م حتى شرعت الجمعية الثورية الأرمنية ومعظمها من الجنود في تفتيش المنازل تفتيشا عاما بدعوى نزع سلاح الأهالي.تستمر شهادات الضباط الروس الواردة في تقرير خليبوف لتوثق قتل أعداد ضخمة من الأتراك على يد الأرمن بدم بارد دون قتال أو حتى توفر فرصة للدفاع عن النفس أو حمل السلاح.وأما عن تقرير لجنة نايلز وسزرلاند،وهي مفوضة من الكونغرس الأميركي وبتكليف منه أيضا عام١٩١٩م للتحقيق في أوضاع الأقاليم الشرقية للإمبراطورية العثمانية في أعقاب الحرب العالمية الأولى.وكان الغرض من اللجنة هو تقييم النوع المطلوب من المساعدات التي يمكن تقديمها عن طريق اللجنة الأميركية للإغاثة في الشرق الأدنى.وتألفت اللجنة من الكابتن إيموري نايلز وهو ضابط بالجيش الأميركي وأستاذ القانون الأميركي آرثر سزرلاند الإبن. في التقرير يضع المبعوثان الأميركيان مشاهداتهما،ويدونان الملاحظات على ما حدث في المناطق التي مروا بها.في المنطقة من بتليس إلى بايزيد مرورا بفان،يقول التقرير: إن المنطقة شهدت قتالاً بين الروس وحلفائهم الأرمن من جهة وبين الأتراك من جهة،وجرت أعمال النهب والمذابح،وترتب على ذلك دمار شامل في المنطقة،وخاصة مدن ولاية بتليس وولاية فان اللتان دُمر نحو تسعة أعشارها.سكان تلك المنطقة المنكوبة يتكونون أساسا من المسلمين،ويقول المبعوثان:إنهما علما أن الأضرار والدمار قام به الأرمن،إذ احتل الجيش الروسي المنطقة

الطرد والإبادة مصير المسلمين العثمانيين،لجستن مكارثي.تاريخ الدولة العثمانية،لمحمد فريد. الدولة العثمانية،لصلابي.

ثم انسحب منها،وما لبث الأرمن أن قاموا بارتكاب جرائم القتل والاغتصاب والحرق وعلى حد تعبير التقرير،قاموا بكل الفظائع الرهيبة بحق المسلمين.
ستدل واضعو التقرير على صحة الشهادات التي استمعوا لها من الدلائل التي رأوها أن ممتلكات الأرمن وكنائسهم وحتى النقوش التي على المنازل في بتليس وفان لم تُمس أو تصب بسوء في حين أن ممتلكات المسلمين ومنازلهم دمرت تدميرا كاملا.
في منطقة أرضروم الحدودية التي تتكون من سلسلة من السهول التي تحيط بها الجبال ويقطنها الاكراد والأتراك حدثت أيضا أعمال قتل وتدمير كامل للمنازل والمزروعات ونهب الماشية.ويؤكد التقرير على أن الأرمن قاموا قبل انسحابهم من المنطقة بتدمير القرى وعمل مذابح وفظائع أيضا ضد السكان المسلمين. ويضيف التقرير أن هذه الجرائم الأرمنية"كما يطلق عليها التقرير"ما زالت تجري على الحدود لحظة كتابة الوقائع.كما استدل المبعوثان الأميركيان على صحة الشهادات من أحد الضباط البريطانيين في أرضروم.وفي النهاية تقرر اللجنة الأميركية:أنه بالرغم من أن ذكرهم للفظائع التي ارتكبت ليس له علاقة بمهمتهم الأساسية،لكن ما شاهدوه وسمعوه تغلب عليهم،وتاكدوا أن الحقيقة هي أن الأرمن ذبحوا المسلمين على نطاق واسع وبكثير من القسوة والوحشية. وأن الأرمن مسؤولون عن معظم الدمار الذي حدث في القرى والمدن.
كما يؤكد التقرير على حقيقة أن الروس قاموا بالكثير من الفوضى والدمار حال تحالفهم مع الأرمن،لكن عندما انحل الجيش الروسي في ١٩١٧م وتركوا الأرمن دون تحكم،قام الأخيرون يذبحون ويقتلون المدنيين المسلمين،وعندما تحطم الجيش الأرمني على يد الجيش التركي تحول كل الجنود النظاميين وغير النظاميين إلى آلة تدمير في ملكيات المسلمين وارتكبوا المجازر،والنتيجة هي تدمير بلاد باكملها.
التحالف الروسي الأرمني واكذوبة الإبادة الأرمنية
مع مطلع القرن الثامن عشر وفي عهد بطرس الكبير إمبراطور روسيا بدأ بعض الأرمن يتصرفون كمساعدين للسياسة الروسية والجيش الروسي. وبدأ يقوى اتكال الأرمن على روسيا وأملهم في مساعداتها منذغارات الروس الأولى على القفقاس[1] تعهد الأرمن

القفقاس بالولاء والدعم للقياصرة الروس خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر دعم الرسميون الأرمن العلمانيون والمؤمنون الغزو الروسي لحاكميات المسلمين في القفقاس والإطاحة بحكامها المسلمين.في الوقت ذاته عمل الأرمن جواسيس للروس ضد حكامهم المسلمين[٢]،فعلى سبيل المثال كانت المدينة العثمانية دربند تحت الحصار الروسي عام ١٧٩٦م فأرسل سكانها الأرمن إلى الغزاة الروس معلومات عن مصادر الإمداد المائي للمدينة،مما أتاح للروس أن يهزموا حاكم المدينة العثماني[٣]،وصرح رئيس أساقفة أرمني اسمه أرجوتنسكي دولجوروكوف علانية في تسعينات القرن الثامن عشر بأمله وإيمانه أن الروس سيحررون الأرمن من حكم المسلمين.واستمر الأرمن في إرسال رسائل إلى المسؤولين الروس يشجعونهم فيها على الاستيلاء على المناطق التي يحكمها المسلمون وانقاذ الأرمن من اضطهاد المسلمين[٤]! ،وقام الرعايا الأرمن المقيمون تحت حكم الدولة

المجازر التي ارتكبها الأرمن بحق النساء والأطفال الأتراك والاكراد

العثمانية إضافة إلى الأرمن الرعايا تحت حكم الروس،قاموا بالقتال إلى جانب الروس ضد الإمبراطورية العثمانية في حروب أعوام١٨٢٧-١٨٢٩م،وحرب القرم[٥]،وأبدى

(١) Muriel Ann Atkin, "The Khanates of the eastern Caucasus and the Origins of the First Russo-Iranian War" unpuplished Ph.D. dissertation, Yale University.١٩٧٨, p.٧.

(٢) Atkin, pp.٢٥-٢٧,٣٠،٣٧. Atkin also notes pp.١٩z٢٠٠.

(٣) Atkin, p.١٣٩.

(٤)Atkin, p.١٤٤. See also pp. ٢١٠, ٢١٩.

(٥)H.P. Pasdermadjian,١٩٧١: ٣٠٧, ٣٠٩.

الأرمن في الأناضول العثمانية ولاءهم للقضية الروسية بعملهم جواسيس أيضًا للروس فقد عبر الأرمن من الأناضول الحدود وقدموا تقاريرعن تحركات القوات العثمانية في جميع حروب شرق الأناضول.وساعد الأرمن الأناضوليون الجيوش الروسية الغازية في عام ١٨٢٧م،وتبع عدة آلاف منهم الجيش الروسي حين غادر إلى خارج الأناضول وخلال حرب القرم قدم الأرمن أيضًا للروس معلومات استخباراتية من مدينة قارص المحاصرة. ومهد المرشدون الجواسيس من الأرمن من الأناضول العثمانية الطريق للغزاة الروس في عام١٨٧٧م،ورحب أرمن وادي الشكرد بالجيوش الروسية الغازية في عام١٨٧٧م وعندما انسحب الروس غادروا جميعًا معهم[١]،وقد قام رئيس دير للرهبان بتحويل أحد

المجازر التي ارتكبها الأرمن بحق النساء والأطفال الأتراك والاكراد

الأديرة الأرمنية على الحدود العثمانية الفارسية إلى مستودع أسلحة،وكي يكون نقطة تسلل لثوريين أرمن يعملون ضد الإمبراطورية العثمانية[٢] ،وعندما استولى الروس على مدينةقارص العثمانية،لاحظ المراسل تشارلز وليامز أن الأرمن ساعدوا أصدقاءهم الروس في قتل الجرحى من الأسرى العثمانيين[٣]،وحينما استولى الروس على مدينة أرضروم العثمانية،عينوا أرمنيًا في منصب قائدالشرطة[٤]،وقام الأرمنيون بالإفادة من وجودالروس

(١)See Caucasian Battelfields, pp.١٤٨،١٤٩.

(٢)Nalbandian, p.١٧٤.

(٣)Charles Williams,The Armenian Campaign, London,١٨٧٨, p.٢٨٠.

(٤)Major Kamsaragan sic(F.O.١٩٥-١٢٣٧, no.٤٢,Trotter to Layard, Erzeroum,٧ june١٨٧٨).

فعاملوا المسلمين بقسوةوأهانوهم،كما يقول السفيرليرد[١]،وعندما عادت المدينةالمسلمين استطاع العثمانيون أن يحافظوا على النظام،وقاموا بحماية المسيحيين من ثأر المواطنين المسلمين[٢]،عانى المسلمون العثمانيون في منطقة باتوم التي استولى عليها الروس،فقد قاموا بمعاونة الأرمن بابتزاز المال والممتلكات الشخصية،وحرموا المسلمين من جوازات السفر،وأصبحت باتوم كما يقول القنصل البريطاني في تفليس:مسرحًا جماعيًا للظلم والسلب والنهب[٣] كانت الأحزاب الأرمنية الثورية،كما يقول جستن مكارثي:مستعدة للتضحية بأرواح أرمنية أو مسلمة في سبيل تحقيق أهدافها كان المخطط العام لخطتهم

Üst üste kucak kucağı ait iskeletler. İlk bakışta Türklere ait olduğu anlaşılan bulgular.

Satırla parçalanmış kafatası, Prof.Dr. Metin Özbek (Antropolog) tarafından basın-yayın mensuplarına tanıtılıyor.

((يظهر في الصورة البرفسور متين أوزبك،والكشف عن مقابر جماعية للأتراك والاكراد أُبيدت من قبل الأرمن))

محاكاة الانتفاضة البلغارية الناجحة عام١٨٧٦م،وتحريض أرمن محليين على مهاجمة مسلمين،أو القيام بذلك بأنفسهم،محرضين بذلك على قتل الأرمن مما سيؤدي إلى تدخل أوروبي لمصلحة قيام دولة أرمنية.ويؤكد هذا،الواقعة التالية:أخبر أحد الثوريين الأرمن الدكتور هاملن مؤسس الجامعة الأمريكية في تركيا،بأن عصابات الهشنق الأرمنية تنتظر فرصتها لقتل اكراد وأتراك،وإشعال النار في قُراهم،ثم تفر إلى الجبال.سوف يثور المسلمون الغاضبون بعدها ويهاجمون الأرمن العُزل ويقتلونهم بطريقة وحشية لدرجة أن

(١)Turkey No. ٥٣(١٨٧٨), no.٢١٣, Layard to Salisbury, Therapia,١٦ September١٨٧٨ in Bilal N. Simsir,British Documents on Ottoman Armenians II, Ankara,١٩٨٢. No.٩٢.

(٢)F.O.١٩٥-١٢٣٧,no.٢,Trotter to Salisbury,Erzeroom (Erzuram)١٣ November١٨٧٨.

(٣)F.O. ٧٨-٣٢٨١,Marlow to Dufferin,Therapia,٢٨ June١٨٨١.

روسيا ستتدخل باسم الإنسانية والحضارة المسيحية،وحينما شجب المبشر المذعور المخطط لأنه شنيع وشيطاني اكثر من أي شيء عرفه،تلقى هذا الرد:هكذا يبدو الأمر لك،من غير ريب،لكننا قررنا نحن الأرمن أن نصبح أحراراً ،أصغت أوروبا إلى الأهوال

الأسلحة التي تمت مصادرتها من العصابات الأرمنية

البلغارية وجعلت البلغار أحراراً.سوف تصغى إلى صيحتنا حين تدخل في صيحات ودماء ملايين النساء والأطفال،نحن يائسون،سوف نفعلها[1] شاعت تمردات الأرمن على الحكومة العثمانية في كل أنحاء الشرق بعد عام١٨٩٠م وشكل الأرمن عصابات لقتال

(١)William Langer quoted in Kamuran Gurun, The Armenian File, London,١٩٨٥, p.١٢٨

المسلمين،ووصل الأمرلمحاول الأرمن اغتيال السلطان العثماني عام١٩٠٥م.وفي١٤أبريل عام١٩٠٩م بدأت الهجمات الأرمنية على المسلمين في منطقة أطنة متأثرة برجل الدين المسيحي الأسقف موستش،الذي بشر بأمة أرمنية مستقلة،ومات قرابة عشرين ألفًا من الطرفين.يقول جستن مكارثي:كانت أحداث عام١٨٩٠وعام١٩٠٩م مهمة في تهيئة المناخ النفسي لعام ١٩١٥[1]،وفي عام١٩١٤ اندلعت الحرب العالمية الأولى وأعلنت روسيا الحرب على الدولة العثمانية،وخلال العام الأول للحرب،كان العثمانيون منهكين بثورات الأرمن في كل مناطق شرقي الأناضول،وكان أرمن مدينة زيتون يشنون حرب

المقابر الجماعية للأتراك والاكراد التى أبيدت من قبل الأرمن

عصابات ضد العثمانيين،واستولى الأرمن على مدينة قرة حصار الشرقية العثمانية،لكنهم سرعان ما طردوا من اكثر المدينة،وهاجمت عصابات أرمنية قرويين مسلمين في الريف قرب قرة حصار وقتلت عددًا منهم.وقامت عصابات أخرى أرمنية في مدينة

(١) الطرد والإبادة،جستن مكارثي،ص١٤٢.

أورفا بحرق بيوت للمسلمين وقتلوا مدنيين مسلمين[1] وقبل أن تعلن روسيا الحرب كان الأرمن ينظمون أنفسهم في فرق لحرب العصابات التي سيشنونها على العثمانيين،فقاموا بتكديس مخازن احتياطية من الأسلحة بتمويل من روسيا،وحين أُعلنت الحرب دخل أرمن الأناضول،الذين رحلوا إلى روسيا في السابق،إلى الإمبراطورية العثمانية من جديد،وقادوا فرق رجال العصابات،وانضم إلى العصابات عدد كبير من الأرمن الذين فروا من الجيش العثماني،والذين شكلوا عصابات قطاع طرق ولصوصية في الأناضول ثم انضموا إلى القوات الروسية والأرمنية،قدرت الحكومة العثمانية أن نحو٣٠٠٠٠ رجل مسلح من إقليم سيواس وحده انضموا إلى القوات الأرمنية.كما يقول مكارثي: تمرد كبيريُخطط له منذزمن بعيد.بدأ الأرمن الهجوم على الوحدات العسكريةالعثمانية وعربات

الكشف عن مقابر جماعية للأتراك والاكراد أبيدت من قبل الأرمن

توزيع البريد،ومواقع الدرك(الشرطة)،ووحدات التجنيد،في مناطق كثيرة.وقطعت خطوط البرق في شرقي الأناضول،وجرت مواجهات عسكرية بين المتمردين الأرمن والقوات العثمانية،وقام الأرمن بمهاجمة قرى مسلمة وقتلوا العديد من المسلمين،ونُفذت خطط الأرمن في الاستيلاء على مدن شرقية حال اندلاع الحرب[2]،يُعقب جستن

(١) الطرد والإبادة،جستن مكارثي،ص١٩٤.

(٢) ملخصًا من المصدر السابق ص١٩٨-٢٠١.

مكارثي قائلا: من أجل فهم التسلسل الزمني للمجازر والمجازر المقابلة في المنطقة،يجب إدراك أن هذه النشاطات الثورية وغيرها(يقصد اعتداءات الأرمن)جرت قبل إصدار أي أوامر بترحيل الأرمن بمدة طويلة. بدأت الثورات والهجمات على القوات العثمانية في وان وزيتون وموش والرشادية وكواش ومدن وبلدات أخرى،قبل صدور أوامرالعثمانيين بالترحيل[1]،وبداية من عام١٩١٥م ازدادت وحشية وجرائم الأرمن بحق المسلمين سعيًا منهم للاستقلال عن الدولة العثمانية،مستغلين انشغال العثمانيين بالحرب العالمية الأولى،يقول مكارثي: كانت أعمال الاغتصاب الوحشية جلية في كل مكان وأعمال

الكشف عن ١٨٥ مقبرة جماعية ضمن آثار مجازر الأرمن ضد الأتراك

التعذيب قبل القتل شائعة. يبدو أن هجمات الأرمن على مسلمي الشرق في أثناء الحرب العالمية الأولى تركزت على القتل بدلًا من الدفع إلى الفرار[2]،وقد أتى مكارثي بأدلة موثقة كثيرة في كتابه الرائع الفذ على مذابح الأرمن ووحشيتهم وجرائمهم بحق المسلمين العثمانيين،وسنكتفي بإيراد مايخص إقليماً واحدًا فقط،وهو إقليم وان(Van)يقول مكارثي

(١) الطرد والإبادة،جستن مكارثي ص٢٠١.

(٢) المصدر السابق ص٢٠٢.

باختصار:في ٢٠نيسان عام١٩١٥م بدأ الأرمن في وان بإطلاق النار على مخافرالشرطة ومساكن المسلمين،مع تقدم الأرمن وتغلبهم على قوات الأمن العثمانية أحرقوا الحي المسلم وقتلوا المسلمين الذين وقعوا في أيديهم،كان من ضمن الذين قُتلوا جنودعثمانيون جرحى أومرضى جاءوا إلى وان للنقاهة.ودُمرت قُرى زفيه،وملا قسيم،وشيخ قرة،وشيخ عينة،وزورياداباكس،وخضر،وعمق،وآيانس،وورندز،ودير،وحرويل،وزيوانا،وقرقر"وقرى كثيرة لم تُحدد بالاسم.دُمر كل شيء إسلامي في وان باستثناء ثلاثة مبان أثرية جرى إحراق أو هدم جميع المساجد،دُمر الحي المسلم كاملا حين انتهت مهمة الأرمن والمعركة بين العثمانيين والأرمن،بدت(وان) أقرب إلى خرائب قديمة منها إلى مدينة. وهاجمت العصابات الأرمنية على الطرق كثيرًا من أولئك الذين استطاعوا الفرار،وكانوا يقتلون

الكشف عن ١٨٥ مقبرة جماعية ضمن آثار مجازر الأرمن ضد الأتراك

جميع المسلمين الذين يمرون قريبًا منهم.وقام الأرمن بسرقة ما يحمله المسلمون الفارون واغتصبوا كثيرًا من النساء[1]،وسنأتي الآن إلى رد فعل العثمانيين على هذه المذابح،وهو الحق المشروع،لقد كان الرد العثماني،كما يقول المؤرخ الأمريكي جستن مكارثي على المجرمين الأرمن لا يختلف كثيرًا عن رد حكومات القرن العشرين الأخرى التي تواجهها حرب العصابات.عزل العصابات عن الدعم المحلي بالتخلص من المناصرين المحليين.

(١) الطرد والإبادة،جستن مكارثي ص٢٠٣-٢٠٤.

لقد أدرك العثمانيون أن الثوار الأرمن يتلقون دعماً مطلقًا من القرويين الأرمن ومن أرمن المدن الشرقية التي كانت موطنًا لزعماء ثورتهم،لذلك قرر العثمانيون اتخاذ إجراء جذري (نزوح قسري للسكان الأرمن من المناطق العسكرية الفعلية أوالمحتملة).ويقول مكارثي: إن نيات إسطنبول واضحة: نقل وإعادة توطين الأرمن سلميًا،ويقول إن الوثائق العثمانية الوحيدة التي يمكن التحقق منها بهذا الشأن تدل على اهتمام رسمي على الأقل بالنازحين الأرمن،فقد كتبت الإجراءات المفصلة في إسطنبول وأُرسلت إلى الأقاليم وشملت بيع بضائع اللاجئين،وتوطين اللاجئين في مواقع اقتصادية مشابهة لتلك التي تركوها،وتعليمات بشأن الصحة وتطبيق القوانين الصحية وما شابه ذلك.ويقول مكارثي إن قرار إجبار الأرمن على الرحيل صحيح باللغة العسكرية المحضة،لكنه سبب متاعب ووفيات بينهم،وهذا يبعث على الأسى.ومع ذلك أدى القرار إلى النتيجة المرجوة:تضاءلت هجمات الأرمن، ثم يذكر مكارثي أن مسئولية وفيات الأرمن يجب أن يتقاسمها:الأرمن أنفسهم ومناصروهم والروس[1]،ولما حدثت الثورة البلشفية في روسيا عام ١٩١٧م تفكك الجيش الروسي وترك الميدان،وحل محله العصابات الأرمنية،فشن الجيش العثماني هجومًا سريعًا فتقهقرت العصابات الأرمنية على نحو فوضوي وخربوا المناطق التي كانوا يحتلونها وقتلوا مسلميها وارتكبوا الفظائع،فقد جاء في تقرير القائد العثماني وهيب باشا أن الأرمن قتلوا كثيرًا من المسلمين وألقوا بجثث بعضهم في الآبار،وأحرقوا جثثًا أخرى،ومثلوا ببعض الجثث وشقوا بطون المسلمين في المسالخ ومزقوا أكبادهم ورئاهم وعُلقت النساء من شعورهن بعد أن كن عرضة لجميع الأفعال الشيطانية،وغير ذلك[2] وبهذا نكون قد أتينا في هذه العجالة على بعض الملامح التي لا يتم التركيز عليها عادة ونختم بقول المؤرخ الأمريكي المنصف جستن مكارثي:هجمات الأرمن على المسلمين لم تؤخذ في الحسبان إلا ما ندر هجمات المسلمين على الأرمن هي التي يهتمون بها فحسب،كان من السهل على المعلقين أن يصوروا المسلمين متوحشين شعروا بين فينة وأخرى بالحاجة إلى قتل المسيحيين!!!في الحقيقة هاجم الأرمن المسلمين تمامًا [3].

(١) مكارثي باختصار:ص٢٠٩-٢١٢. (٢) نفسه ص٢١٣- ٢١٥ باختصار.(٣) الطرد والإبادة مصير المسلمين العثمانيين ١٨٢١-١٩٢٢،جستن مكارثي ص٥٣.

الحرب اليونانية العثمانية ١٨٩٧م

في الخامس من شهر أبريل عام ١٨٩٧م اندلعت حرب بين اليونان و الدولة العثمانية وكان موقعها في جزيرةكريت بشكل أساسي وعلى الأراضي اليونانية،وانتهت هذه الحرب بانتصار الجانب العثماني على اليوناني،وتم توقيع معاهدة اسطنبول في نفس العام.جرت الحرب اليونانية العثمانية بين كل من أدهم باشا على قيادة الجيش العثماني والذي كان مكونا من اكثر من ١٢٠ألف جندي تقريبا،وعلى الجهة الاخرى كان قسطنطين الأول

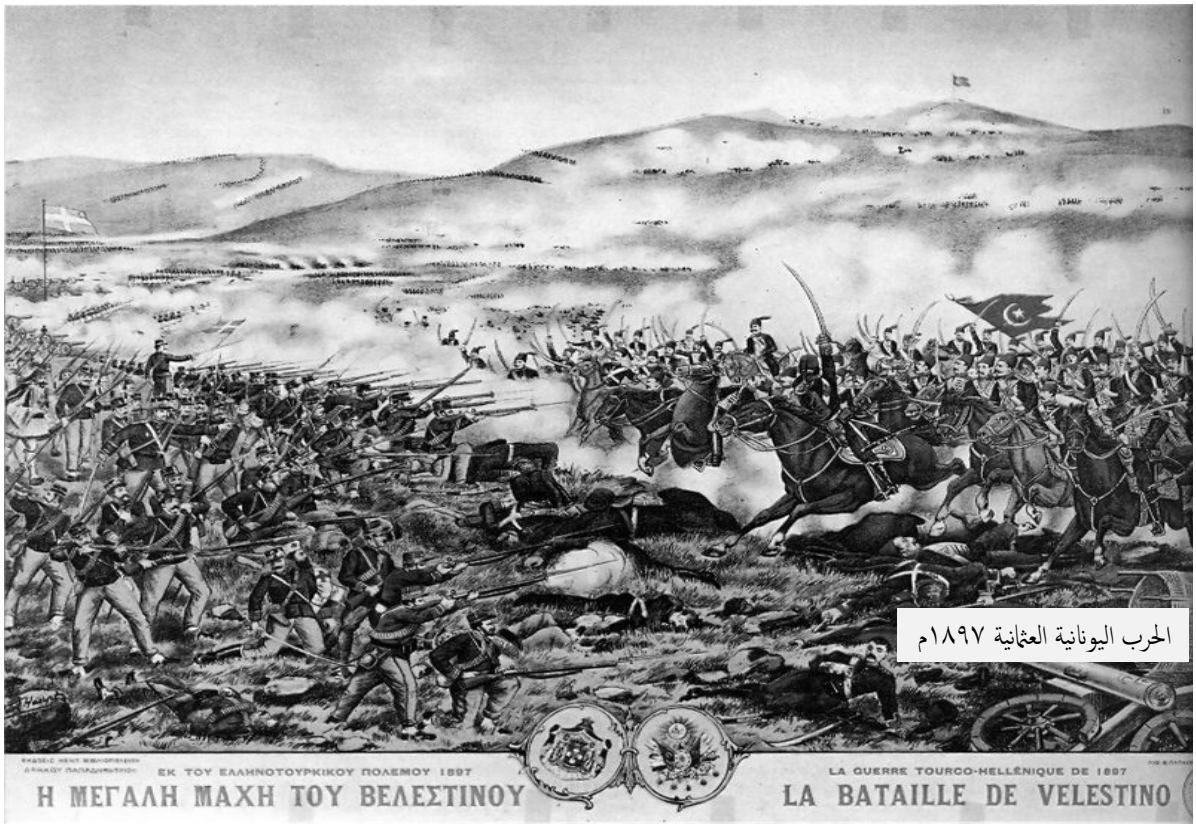

الحرب اليونانية العثمانية ١٨٩٧م

يقود جيش اليونان المكون من اكثر من ستين الف جندي تقريبا،وقد استمرت هذه الحرب حوالي ثلاثين يومًا تقريبًا،ولذلك يطلق عليها أحيانا اسم حرب الثلاثين.

سبب اندلاع الحرب اليونانية العثمانية

كانت جزيرة كريت تقع تحت الحكم العثمانيين ولكن أغلبية سكانها كانوا من اليونانيين،وقد كان هؤلاء السكان يطالبون بالتحرر من الحكم العثماني والدخول تحت الحكم اليوناني وحين تعالت الأصوات المطالبةبذلك،قامت اليونان باحتلال الجزيرة وضعها تحت الحكم اليوناني،فأثار ذلك غضب عبدالحميدخان،فقام السلطان بإعلان الحرب على اليونان.

ما قبل إعلان الحرب اليونانية العثمانية

مباشرة بعد أن أعلنت اليونان احتلالها لجزيرة كريت التابعة للحكم العثماني،قام السفير العثماني في العاصمة اليونانية أثينا بالتوجه لمقابلة وزير الخارجية اليوناني،وقد أعلمه بأن الدولة العثمانية قد قررت قطع علاقتها رسميا بدولة اليونان،وفي الثامن عشر من ابريل عام ١٨٩٧م تم اعلان الحرب الرسمية من العثمانيين على اليونان.

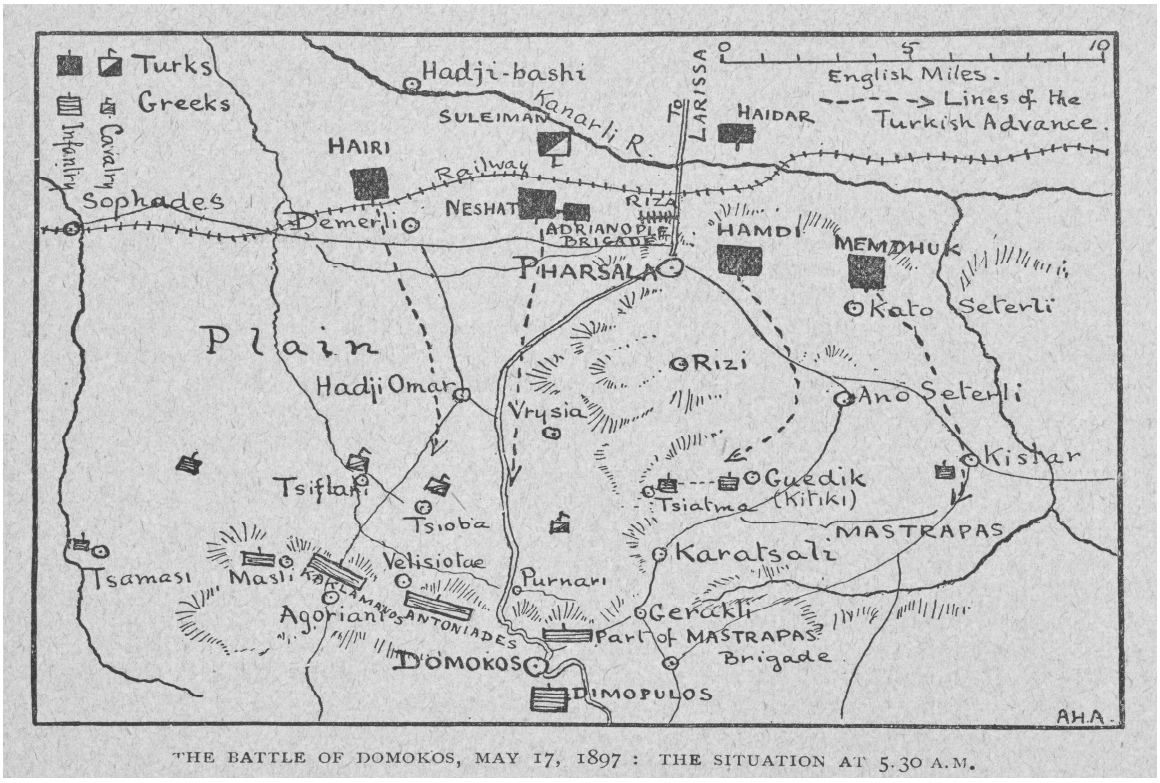

THE BATTLE OF DOMOKOS, MAY 17, 1897 : THE SITUATION AT 5.30 A.M.

الموقف في معركة دوموكوس في١٧مايو ١٨٩٧،في الساعة ٥,٣٠ صباحا

أحداث الحرب اليونانية العثمانية:بعد إعلان العثمانيين الحرب رسميا على اليونان،كان الجيش العثماني من البداية متفوقًا في العدد على الجيش اليوناني،حيث كان عدد الجنود الضعف تقريبًا وقد تمكن الجيش العثماني من تحقيق الانتصار تلو الاخر على الجيش اليوناني،وفي السابع والعشرين من شهر أبريل تمكن العثمانيون من الاستيلاء على بلدة لاريسا،واضطر الجيش اليوناني إلى التراجع ومحاولة تشكيل خط دفاعي عند بلدة فارسالا،ولكن العثمانيون واصلوا تقدمهم واستولوا على فارسالا،ثم تراجع اليونانيون إلى دوموكوس،ولكن العثمانيون حاصروهم مرة أخرى وانتصروا عليهم،وظل الأمر كذلك حتى صدرت الأوامر بوقف إطلاق النار بين الطرفين.

نهاية الحرب اليونانية العثمانية

بعد تدخل من القوى الدولية،تم إنهاء الحرب بين البلدين في العشرين من شهرسبتمبر لعام ١٨٩٧م،حيث تم الأتفاق على توقيع معاهدة بين البلدين،وقد سميت هذه المعاهدة باسم معاهدة اسطنبول،وكان من ضمن بنود الاتفاق في المعاهدة باستقلال جزيرة كريت تماما عن كلا من اليونان والدولة العثمانية،وقد تنازلت أيضا اليونان طبقا لهذه المعاهدة عن جزء من حدودها مع تركيا،وتم تغريم اليونان غرامة مقدارها أربعة ملايين ليرة عثمانية كتعويض حرب[١].

تبادل إطلاق النار بين اليونانيين والأتراك في ريزومالو

THE FIGHTING AT VELESTINO: REPULSE OF THE TURKISH INFANTRY AT RIZOMALO

النتائج الاقتصادية للحرب اليونانية العثمانية

كانت اليونان تعاني من الأساس من أزمة اقتصادية قبل الحرب اليونانية العثمانية بفترة كبيرة،ولكن زاد الأمر سوءاً حيث أدت الشروط المفروضة على اليونان في بنودمعاهدة السلام التي وقعت في اسطنبول إلى وقوع اليونان في أزمة اقتصادية كبيرة جداً،وقد انتهت هذه الأزمة بإعلان اليونان إفلاسها التام في عام١٨٩٣م،وقد تعاونت كل من بريطانيا وفرنسا وروسيا لمساعدة اليونان في تسديد دينها للدولة العثمانية حسب اتفاقية السلام،وكذلك تسديد ديونها وحل أزمتها الاقتصادية عن طريق قرض قيمته ٦,٨ مليون جنيه استرليني،والذي تم تجميع قيمته من ثلاثين بنك في عدة دول مختلفة.

(١) السلطان عبدالحميدالثاني،لأوخان محمدعلي.

السلطان عبدالحميد الثاني والصحافة

ظهرت الجرائد المطبوعة في الدولة العثمانية أول ما ظهرت في عهد السلطان محمود الثاني و كانت بالفرنسية وتخدم أفكار وآمال الأقليات غير المسلمة.ثم ازداد عدد الجرائد حتى عهد السلطان عبدالحميد إلى اكثر من خمسين جريدة ومجلة،وأصبحت المجلات تلعب دورا كبيرا في الحياة السياسية والفكرية والاجتماعية،ولكنها ظل قسم منها بيدالأقليات غير المسلمة في الدولة وكان ولاؤها للدولة لا سيما في العهود المتأخرة شيئا مشكوكا فيه لارتباط اكثرها بالدول الأجنبية وسفاراتها في إسطنبول،لذلك فإن هذه الجرائدوالمجلات كانت تلعب دورا تخريبيا وتسبب مقالاتها متاعب كثيرة للدولة الغارقة في مشاكل لا تحصى،ونذكر عدد هذه الجرائد في إسطنبول:٧١ جريدة تركية،١جريدة عربية،٩جرائد باللغة اليونانية،٩جرائد باللغة الأرمنية،٣جرائد باللغة البلغارية،جريدتان باللغة العبرية،٧جرائد باللغة الفرنسية،جريدتان باللغة الإنكليزية،١جريدة باللغة الألمانية وقسم من هذه الجرائد إدارتها كانت بأيدي أشخاص لا يرون الخلاص إلا بتقليد الغرب تقليدا أعمى كما أن كثيرا منهم كانوا مرتبطين بالخارج،فمثلا لنأخذ جريدة(بصيرت) المشهورة في تاريخ الصحافة التركية،فقد التزمت هذه الجريدة جانب الألمان عند نشوب الحرب الألمانية الفرنسية سنة١٨٧٠-١٨٧١م وذهب صاحبها إلى برلين عام١٨٧٢م و قابل بسمارك الذي أهداه مطبعة كاملة ومبلغا كبيراً من المال يقول المؤرخ التركي نظام الدين نظيف عن صحافة ذلك العهد(:كانت هذه الصحف بعيدة عن الشعور بالمسؤولية إلى درجة مخيفة،وتثير الناس بمقالاتها،وكانت في أيدي أناس جهلاء وعديمي الأخلاق وكان صاحب كل صحيفة مرتبطا بحكومة أو حكومتين أجنبيتين ارتباطا مشبوها،أما الولايات الأخرى٢ فإن وضع الصحف كان اكثر سوءاً[١].

وكانت هذه الصحف تنفث سمومها في جسم(الرجل المريض)تحت شعار حرية الصحافة وبدل أن تكون مصدر خير وتوجيه،كانت مصدراً للشر والتخريب،وأصبحت منافسات الدول الأوروبية ومنازعاتها ومشاكلها فيما بينها تنعمس على سياسة هذه

(١)Sultan Abdulhamid ve Komiteciler, N.N. Tepedelenoglu, s. ٤٢٦.

الجرائد،وتضع الدولة العثمانية في مواقف حرجة أمام هذه الدول،مثلا أدت منافسة إنكلترة مع روسيا إلى قيام الجريدة الناطقة باللغة الإنجليزية بهجوم عنيف على روسيا وعلى سفير روسيا في إسطنبول،حتى كادت تحدث أزمة سياسية بين الدولة العثمانية وبين روسيا في عهد السلطان عبد العزيز،مما حدا بالسلطان إلى إصدار أمره بإغلاق تلك الجريدة،وكانت هذه الجريدة الأولى التي تغلق في تاريخ الصحافة في الدولة العثمانية وقد أدرك السلطان عبد الحميد المرامي البعيدة لهذه الصحف،وكونها معولا للهدم لا للبناء فأمر بإغلاق بعضها كجريدة (الوقت١) وجريدة(الاستقبال٢)ووضع الجرائد والمجلات الأخرى تحت رقابة الدولة،وأمر وزارة المعارف بتدقيق المقالات وحذف ما ينافي الآداب والأخلاق منها،ولم يكتف السلطان برقابة الصحف الداخلية و إنما وضع رقابة صارمة على المجلات والجرائدالأجنبية المرسلة إلى الممالك العثمانية من الخارج،فكان السفراء والقناصل مكلفين من السلطان بتقديم تقارير دائمة عن الصحف الأجنبية واقتراح منع بعضها من الدخول إلى الممالك العثمانية،ومنع دخول نسخ وأعداد معينة من بعضها الآخر.

عبد الحميد ومؤسسات التعليم والمرافق العامة

حاول السلطان عبد الحميد أن يبعث حياة علمية جديدة في جسد الدولة العثمانية التي طال عهد الجهل فيها فأسس معظم الكليات والمعاهد والدراسات العليا الموجودة حاليا في تركيا،أي إنه يعد بحق رائد العلم والمعرفة في الدولة العثمانية.ويكفي للتدليل على ما نقول أن نلقي نظرة سريعة على الكليات والمعاهد التي أسسها وأرسى قواعدها وكان له فضل إنشائها لأول مرة: أ- الكليات والمعاهد[١]

جامعة الهندسة.كلية الطب.كلية العلوم.كلية الآداب.كلية الحقوق.كلية العلوم السياسية اكاديمية الفنون الجميلة.كلية التجارة.كلية الزراعة والبيطرة.معهد المعادن والغابات.معهد المعلمين العالي.معهد اللغات.

وأما المدارس المتوسطة والثانوية:منها المدارس الإعدادية(الثانوية)في كل مدنية. مدارس

(١) انظر:السلطان عبدالحميدالثاني،أورخان محمدعلي.

متوسطة في كل قضاء.مدارس الصناعية للبنين وللبنات.مدارس للمعلمين وللمعلمات. مدارس للصم والبكم.أما المدارس الابتدائية التي أنشأها فهي لا تعد ولا تحصى.كانت الدولة العثمانية في حاجة ماسة لهذه المدارس التي قامت بملء فراغ مهم فيها،لأن انتشار الجهل والتأخر العلمي فيها كان من أهم أسباب تأخرها في ركب الحضارة،ومن أهم أسباب ضعفها،ولولا الضائقة المالية الشديدة التي كانت الدولة العثمانية تعاني منها لزاد من أعداد هذه المدارس أضعافا مضاعفة،ولكنه مع هذا بنى مدارس عديدة.كان هناك سبب آخر مهم في كثرة المدارس التي بناها وهو المحافظة على عقائد الطلاب المسلمين،لأن المدارس التبشيرية الأمريكية منها والفرنسية والإنجليزية.. الخ. كانت قد كثرت وكانت تقوم بتربية طلابها على النمط الغربي،ولا تعطي لهم دروسا في الدين الإسلامي. فينشأ الطلاب فيها وقد اصطبغوا بالضبغة الغربية البعيدة عن ثقافتهم وتقاليدهم الإسلامية.

التعليم في العهد العثماني

هذا إضافة إلى قيامه ببناء وتأسيس:المكتبات.المتاحف.تأسيسات إسالة الماء(ماء الحميدية مثلا).مكاتب البريد والبرق.سكك حديدة،طرق،جسور.دارللعجزة. خطوط الترامواي في:إسطنبول،بيروت،وسلانيك.تقوية القلاع الحربية:لاسيما في(جناق قلعة) كانت هذه القلاع من أهم عوامل نجاح صمود القوات العثمانية في وجه أعدائهم في

الحرب العالمية الأولى سنة١٩١٥م. مستشفيات.دور النفوس العامة.الغرف التجارية والزراعية والصناعية.تأسيس مصنع للفخار،ومصنع للورق،ومصنع للغاز،ومصنع للشمع.توسيع مصنع القماش في(هركه).بناء مرفأ بيروت ومرفأ(صاكز)،ومرفأ حيدر باشا في إسطنبول ومرفأ(غلطة)وطوبهانة. بناء سد(كوجوك).تأسيس شركة الضمان العثمانية.قام بتشغيل منجم الفحم في(أركلي). بنى محطة القطاء في حيدر باشا في إسطنبول ولا تزال موجودة وتؤدي خدماتها.مد خطوط التلغراف حتى المدينة المنورة. كما أنشأ خط التلغراف في مدينة بنغازي في ليبيا.أسس شبكة للمياة في منى للحجاج.بنى القلاع في مكة المكرمة وبنايات لاستمالات دوائر الدولة.

دارالعلوم الحميدية في بكين بلاد الصين أمر ببنائها السلطان عبدالحميدالثاني لمسلمي الصين ١٩٠٨م

كانت الدولة العثمانية فقيرة جدا من ناحية خطوط السكك الحديدية التي تعد شرايين الحياة فيها والتي تلعب دورا مهما في الحياة التجارية والاقتصادية والاجتماعية وفي الناحية العسكرية أيضا لأنها كانت تربط مختلف المدن والمناطق الشاسعة في الدولة ببعضها وتنفث فيها الحياة و الحركة وتنقل البضائع بأقل الأسعار وبكميات كبيرة،وتنقل الجنود بأقل كلفة وبسرعة،ولكن مد هذه الخطوط كان يتطلب مبالغ طائلة مع أن الدولة العثمانية كانت في ضيق مالي شديد ومثقلة بالديو،ومع كل هذا قام السلطان بمد

السلطان عبد الحميد الثاني مشاريعه الإصلاحية وانجازاته الحضارية،لدكتور سيف الدين أرباجي.

خطوط سكك عديدة .فعند استلامه للحكم كان مجموع هذه الخطوط يبلغ١٣٠٠كم فاستطاع أن يزيد هذا المجموع إلى٤٥٠٠كم،أي ما يقارب أربعة أضعافه.

وأوعز بتهيئة الخطط الهندسية لبناء جسر يوصل بين القسمين الأوروبي والآسيوي لمدينة إسطنبول،أي جسر يوصل بين قارة آسيا وأوروبا،كما كلف المهندس الأمريكي (إستروم فردريك - Strom Fredric). بتهيئة مشروع حفر نفق تحت مياه مضيق البسفورفي منطقة(سراي بورنوأسكدار)في إسطنبول لربط قسمي إسطنبول الآسيوي والأوروبي ببعضهما،وقد هيأ المهندس الأمريكي خرائط هذا المشروع الجريء وكان النفق يستند إلى ١٦عموداً ويمر فيه خط سكة حديدية كان هذا المشروع في أواخر عهد السلطان عبدالحميد .ولكن قبل بدء المشروع عزل السلطان فتوقف المشروع[١] وقد بلغ عدد المرافق العامة التي بناها السلطان عبدالحميد(كالمدارس والمستشفيات والمصانع ودوائر الدولة..الخ.١٥٥٢بناية صرف عليها مبلغ ٧٢٧٨٠١٢٩ قطعة ذهبية. أي اكثر من اثنين وسبعين مليون قطعة ذهبية وهو مبلغ كبير إذا أخذنا القوة الشرائية الكبيرة للقطعتة الذهبية آنذاك بنظر الاعتبار. وعندما ذاع صيت المخترع أديسون (١٨٤٧-١٩٣١م)في عهده أرسل إليه السلطان عرضا بالمجيء إلى إسطنبول والاستقرار فيها و إجراء بحوثاته واختراعاته مع كل التسهيلات التي يرغبها مع دفع أربعة أضعاف ما كان يحصل عليه من مبالغ في وطنه،ولكن(أديسون)اعتذر عن إجابة طلب السلطان وفضل البقاء في وطنه.

السلطان عبدالحميد والجيش

شعر السلطان عبدالحميد بعد الحرب الروسية التركية بضرورة تقوية الجيش وسد حاجاته وزيادة تسليحه وتعليم الضباط الأصول الحديثة للحرب،لأن الدولة العثمانية دفعت إلى تلك الحرب من قبل مدحت باشا وأنصاره دفعًا دون أن تكون مستعدة لها،لا من الناحية العسكرية ولا من ناحية تأمين طرق التموين ولا من الناحية المادية. ومع أن السلطان عبد الحميد ورث إرثا مثلا بالديون ودولة واسعة تحتاج إلى تجديد

(١) تحقق بناء هذا المشروع مابين عام ٢٠٠٤- ٢٠٠٩م.وبسبب تأخيرات متعددة ناجمة عن بعض الاكتشافات التاريخية،افتتحت المرحلة الأولى من المشروع في ٢٩ تشرين الأول/أكتوبر٢٠١٣م"مرمراي".

مرافقها إلا أنه رأى أن من الضروري تقوية الجيش وان أرهق هذا الأمر خزينة الدولة لأنه لا يمكن صيانة الدولة وحفظها من أطماع الدول الأوروبية إلا بجيش قوي وليس بالحجج القانونية.لذا اتبع سياسة اقتصادية تقشفية ووجه جزءاً كبيراً من إمكانيات الدولة إلى تقوية الجيش والى تدريب الجنود والضباط. بإيجاز:كان الجيش الذي دخل الحرب مع روسيا عبارة عن وحدات من الطوابير ومن الأفواج،ومع أن عدد الجنود لم يكن قليلاً(إذ كان تعداد المشتركين في الحرب الروسية التركية ٢٨٧ ألفا منهم ١٥٠ألف جندي متدرب) إلا أن عدد الضباط كان قليلاً جداً،بينما كان تعداد الجيش الروسي(مع الجيش الروماني والصربي اللذين التحقا بالجيش الروسي) قد تجاوز نصف مليون جندي بكثير ألف السلطان عبد الحميد لجنة عسكرية قامت بدراسة نواقص الجيش

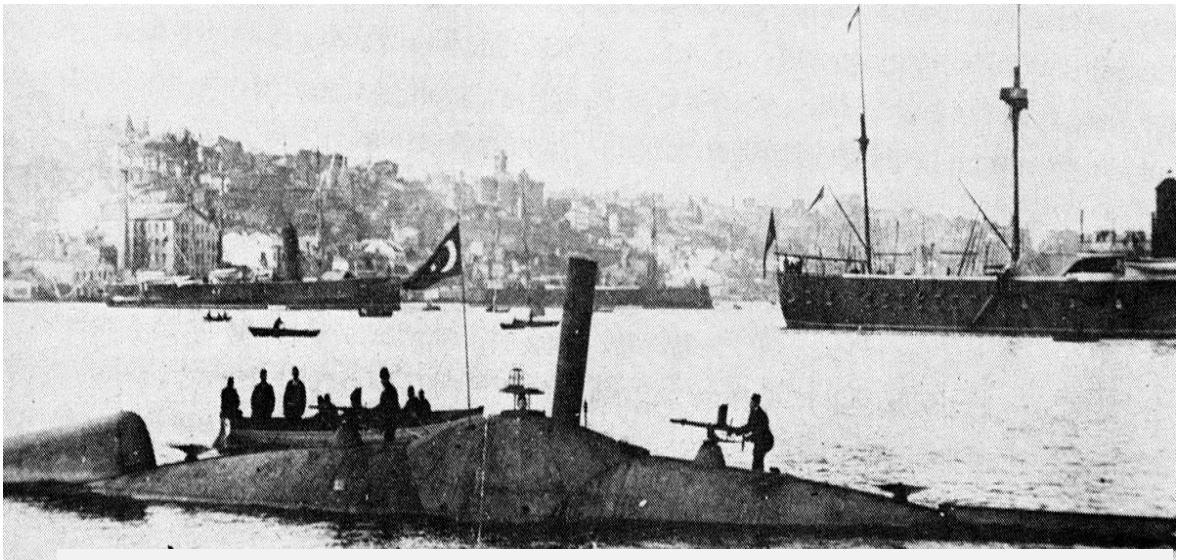

الغواصة العثمانية "عبدالحميد"(سنة ١٨٨٦م) من طراز نوردن فلت كانت أول غواصة في التاريخ تطلق طوربيد حي من تحت سطح الماء

وتقديم مقترحاتها لكيفية تحديث الجيش وسد نواقصه. وعلى ضوء هذه المقترحات قام السلطان بما يأتي:قام بتشيجع صنع المدافع والبنادق في المعامل العثمانية،وقام بتحصين المواقع الحساسة في مضائق إسطنبول وجناق قلعة،ولولا هذه المواقع الحصينة لما استطاع الجيش العثماني إحراز النصر في معركة جناق قلعة المشهور في الحرب العالمية الأولى ضد الجيش البريطاني وحلفائه.وقام بتقسيم الجيش إلى وحدات حديثة وكبيرة وعلى أساس الفرق.وفي عهده أصبح الجيش عبارة عن الجيش الأصلي مع جيش الاحتياط والرديف ومن وحدات محافظة القلاع والحصون.وقام بإرسال أعداد كبيرة

من طلاب المدارس العسكرية والضباط إلى البلدان الأوروبية(لا سيما ألمانيا) للتدريب على الأصول الحديثة في قيادة الحروب،فسد بذلك النقص الكبير في أعداد الضباط الكفوئين.واهتم بصنف المدفعية وجعله في مستوى فرقة.وكانت هناك في عهده سبعة جيوش ويتألف كل جيش من فرقتين أصليتين وفرقتين احتياط وفرقتين للحراسة. وفرقة فرسان وفرقة مدفعية،علما بأن الجيش الثالث والرابع كان كل منهما يملك فرقة إضافية.كما شكلت في كل من الحجاز وطرابلس والغرب فرقة مستقلة.وأصبح الجيش العثماني يملك في حالة الدخول إلى الحرب ٤٩ فرقة مشاة و٧ فرق من الفرسان و٥ فرق مدفعية مع٣ أفواج مستقلة من الفرسان و٣ أفواج مدفعية وطابور مدفعية.

غواصون الامبراطورية العثمانية١٨٩٠م

وقد أظهر هذا الجيش الذي اشترك قسم منه في الحرب مع اليونان كفاءته العالية إذ أنهى الحرب بشكل خاطف وفي ظرف شهر واحد فقط حيث دمر الجيش اليوناني وشتته.وتسلم السلطان عبدالحميد ٣٩ سفينة حربية من عهد عمه السلطان عبد العزيز فرفع هذا العدد إلى٨٥ سفينة حربية و٧٩سفينة مساعدة.واشترى من ألمانيا طوربيدين كبيرين ومن فرنسا وإنكلترة ستة زوارق طوربيد.

السلطان عبدالحميد،أورخان محمدعلي. السلطان عبدالحميد مشاريعه الإصلاحية وانجازاته الحضارية،سيف الدين أرباجي.

مدحت باشا

قال المؤرخ أورخان[1]:(يعد مدحت باشا من الشخصيات التاريخية التي لم توضع في موضعها الصحيح،ولم تقوم التقويم السليم،إذ أحيط بهالة كبيرة،وقدم إلى الناس كبطل للحرية ومناضل ضدالطغيان والظلم،وضحية من ضحايا السلطان عبدالحميد وهكذا فإن القوى التي أنزلت سمعة السلطان إلى الحضيض،استطاعت أن ترفع سمعة مدحت باشا إلى السماء نعم،لقد كان مدحت باشا واليا ناجحًا كل النجاح،ففي كل ولاية عمل فيها واليًا ترك آثاراً جيدة،وعمل فيها إصلاحات كثيرة،وليس من حق أحد أن ينكر سبقه وفضله في هذا المضمار.ولكن هل كان مدحت باشا رجل دولة ورجل سياسة من الطراز الجيد،أو حتى المتوسط ؟المدقق لتاريخه لايستطيع الإجابة على هذا السؤال بـ(نعم!)).

مدحت باشا

ويقول(ولفردبلنت)،وهو يصف مدحت باشا الذي التقاه عندما كان واليا على دمشق: (لم يكن ممتازاً بأي شيء في مظهره،سوى أنه كان فخوراً مختالا،ولم أجد في أثناء محادثتي معه في موضوع تجديد تركيا و إصلاحها أي عمق في أفكاره[2]

(١) أورخان محمدعلي في كتابه السلطان عبدالحميدالثاني.

(٢) الفرد بلنت :تاريخ الاحتلال الإنكليزي لمصر١٢٢/١،نقلا عن كتاب:(تاريخ العراق الحديث)،للدكتور عبدالعزيز سليمان نوار،ص٤٤٠.

هو من دفع الدولةالعثمانية بقصر نظره إلى كارثة رهيبة وهي الحرب الروسية التركية،التي كلفت الدولة العثمانية ثمنا باهظا جدا،كانت نظرته السطحية حول الدستور واعتقاده أن إعلانه سيحمي الدولة العثمانية من تدخل الدول الأجنبية في شؤونها الداخلية،ناسيًا أن هذه الدول لم تكن تهمها في الحقيقة الإصلاحات ولا شؤون الأقليات،لأنها هي نفسها كانت ترتكب بحق شعوبها،وبحق الشعوب التي تستعمرها مظالم كثيرة،لم تكن بأي حال من الأحوال أقل من المظالم التي تذكر وقوعها في الدولة العثمانية. كما أنه كان يجهل أن الشكل النيابي المطبق في بعض الدول الأوروبية وليس كلها أنذاك لن يكون تطبيقه في صالح الدولة العثمانية التي كانت تتألف من عشرات القوميات والعناصر والأديان و المذاهب ولا سيما في تلك الظروف الحرجة،هذا إذا غضضنا الطرف عن اتصاله المريب بإنكلترة طوال حياته،هذا الاتصال الذي وصل إلى حد التشاورمعها في أدق شؤون الدولة العثمانية وفي أدق أسرارها،ففي مسألة خلع السلطان عبدالعزيز استشار إنكلترة وحصل على تأييدها كما جاء ذلك صراحة في مذكرات السفيرالإنكليزي سيرهنري أليوت التي نشرها فيما بعد في مجلة Nineteenth Century/القرن التاسع عشر:(جاء مدحت باشا لزيارتي ليطلعني على رأيه في هذه الأوضاع المتردية وانتشار الرشوة،لذا فقد أبان لي عن ضرورة تغيير شكل الحكم)[1] كان مدحت باشا يدرك مدى خطورة العمل الذي أخذه على عاتقه،ولكنه بدل أن ييأس فإن عزمه كان يزداد لتحقيق هدفه.وعندما أعاد وكرر طلب معونة الشعب الإنكليزي والحكومة الإنكليزية من أجل تأسيس مجلس النواب،قلت إنه يستطيع أن يثق ويعتمد على تأييدي وتأييد كل إنجليزي يعرف مدى فوائد النظم القائمة على المشروطية،ومدى فوائد القانون الأساسي الذي يحد من الصلاحيات الواسعة للحكام[2]. حاول مدحت باشا عند إعلان الدستور،إشراك الدول الأوروبية في مسألة داخلية للدولة العثمانية،وجعلها طرفًا ضامنًا ضد السلطان عبدالحميد،وكيف أنه أرسل مبعوثا وهو(أوديان أفندي) إلى إنكلترة لطرح هذا الموضوع.ولما كانت هناك سياسة(رسمية)طويلة في تركيا لذم السلطان عبدالحميد والقدح فيه،كذلك فقد كانت هناك سياسة رسمية لعدة عهود في تركيا لكيل المديح

لمدحت باشا،ولكن ما إن ملك المؤرخون والكتاب والمفكرون الأتراك حرية التعبير عن آرائهم وحرية طرح الوثائق التاريخية،ومناقشة الشخصيات التاريخية بعيداً عن سيف الدولة المسلط على الرقاب،حتى انقلبت الآية فارتفعت أسهم السلطان عبد الحميد وانخفضت أسهم مدحت باشا.ولعل المؤرخ(حامي إسماعيل دانشماند) هو أفضل من كتب في هذا الموضوع إذ يقول:(اسمه أحمد شفيق مدحت باشا رئيس(شورى الدولة)وهو ابن قاضي أحد الأقضية وهو الحاج محمد أشرف أفندي من أهالي (روسجوق)،وقد أبعد مدحت باشا في زمن(علي باشا)من إسطنبول ليكون والياً على

شارع مدحت باشا في دمشق

بغداد،كما أعطيت له قيادة(الجيش السادس).كان والياً قديراً جداً،فله إجراءات وإصلاحات كبيرة في بغداد كنجاحه في ولاية(الدانوب)أيضا،ولكن هذا الوالي القدير لم يكن رجل دولة كما أشيع عنه،إذ كان شديد الإعجاب بنفسه،ومستبدا برأيه،وذا شهوة كبيرة للحكم،متجاوزاً لحدوده،وكانت طباعه هذه هي سبب فشله في حياته السياسية وسبب نكبته إن عدم كونه رجل دولة لامعًا قد يرجع إلى عدم تمرسه بالشؤون السياسية المهمة،وقلة تجربته في هذا الخصوص،كما اعترف بنفسه عندما استقال من

(١) تمت هذه الزيارة في تشرين الثاني عام ١٢٧٣م،أي قبل خلع السلطان عبدالعزيز.

(٢) Mart Faciasi, Cevad Rifat Atilhan,٢٧-٢٨.٣١

وزارة العدل بعد أول صدارة له إذ كتب في عريضة الاستقالة ما يأتي:(لما كنت قد قضيت معظم عمري في الأماكن النائية فإنني لم أواجه سابقًا مثل هذه الأمور المتشابكة والمعقدة،لذا فإنني أسترحم من ولي النعمة نقلي إلى وظيفة أخرى تكون اكثر ملاءمة لقابلياتي العاجزة[1]).

مدحت باشا من المنفى إلى المحكمة

نفي مدحت باشا بعد عزله من موقع الصدر الأعظم إلى أوروبا مع تزويده بالمال اللازم،وأعطيت له حرية اختيار البلد الذي يرغب الذهاب إليه،وقد اختار إيطاليا،ثم تنقل بين عدة بلدان أوروبية،وزار إنكلترة في آخر المطاف،واجتمع مع رجال السياسة هناك وتباحث معهم،مع أنه لايحمل أية صفة رسمية،وكان له نشاط ضد السلطان في معظم البلدان التي زارها.ثم كتب رسائل متعددة يسترحم فيها السلطان،ويطلب منه السماح بالعودة إلى بلده،وأخيراً سمح له السلطان بالعودة،ولكن بشرط الإقامة مع عائلته في جزيرة(كريت)،وبعد أربعة أشهر فقط من إقامته هناك عينه السلطان واليا على سوريا بقي مدحت باشا واليا على سوريا مدة سنة وثمانية أشهر،أنجز خلالها كثيرا من الإصلاحات كعهده دائما في كل ولاية،ولكنه كان يشتاق إلى بلده،فأرسل عرائض إلى السلطان يبدي فيها هذا الشوق ويطلب السماح له بالعودة،فاستقدمه السلطان وعينه واليا على ولاية(آيدن) التي كان مركزها في(إزمير)،وكانت من أهم الولايات آنذاك.

محكمة يلدز

عقدت هذه المحكمة لمحاكمة قتلة السلطان عبدالعزيز،وذلك بعد مرور خمس سنوات وثلاثة وعشرين يوما على تلك الحادثة،إذ عقدت المحكمة أولى جلساتها في العام ١٨٨١م/٦/٢٧-٢٩رجب١٢٩٨هـ،بعد وفاة السلطان عبدالعزيز التي أعلن عنها آنذاك من قبل رجال الانقلاب بأنها نتجت من انتحاره انتشرت الأحاديث والهمسات بين الناس الذين لم يقتنعوا بانتحار السلطان السابق،والشكوك كانت تحوم حول تلك

(١) مذكرات مدحت باشا،يوسف كمال حتانة.

الحادثة فالأدلة التي قدمها رجال الانقلاب كانت ضعيفة لا تنفع الكثيرين،ولم تنقطع هذه الهمسات والأخبار التي أصبحت حديث المجالس بين الناس حتى بعد انقضاء كل هذه المدة،بل لعلها زادت،فالذين عاصروا الحادثة وشاهدوها وبخاصة من مستخدمي القصر ومنتسبيه أخذوا يتكلمون بحرية اكثر بعد ما دالت دولة رجال الانقلاب وزال الخوف من بطشهم،وكان السلطان يسمع ما يدور من حديث،فيصبر عليه انتظارا لتوضيح بعد الأمور وانجلاء الحقيقة بكاملها،وأخيرا قام أحدهم وهو محمود جلال الدين بك مؤلف كتاب(مرآة الحقيقة) بارسال عريضة إلى السلطان يذكر فيها أن لديه الأدلة الكافية لإثبات أن السلطان عبد العزيز قد قتل ولم ينتحر[1] وهكذا تشكلت المحكمة كان المتهمون هم:السلطان المخلوع مرادالخامس،ووالدة السلطان مراد،والصدرالأعظم الأسبق رشدي باشا الملقب بـ(المترجم)،والصدر الأعظم السابق مدحت باشا،والداماد المشير محمود جلال الدين باشا،والداماد المشير نوري باشا،وشيخ الإسلام السابق خيرالله أفندي،وفخري بك(من موظفي القصر)،وعلي نامق بك،وسيدنامق بك،والعميد عزت المصارع مصطفى آغا،ومصطفى الجزائري،ومحمد آغا المصارع،وأرزو نياز(إحدى رئيسات الخدم في القصر).أما المشير سليمان باشا الذي كان أحد أقطاب رجال الانقلاب فلم يكن بين المتهمين لكونه منفيا آنذاك إلى بغداد بتهمة التقصير في الحرب الروسية التركية الماضية.لم يستقدم جميع المتهمين إلى المحكمة،إذا ستثنى السلطان مراد ووالدته (لانتسابهم إلى العائلة السلطانية)وكذلك رئيسة الخدم لك ونها تحت الإقامة الجبرية مع السلطان مراد كما لم يستقدم الصدر الأعظم الأسبق رشدي باشا لكونه مريضًا في بيته في(إزمير) إذ تم استنطاقه هناك[2].

اعتقال مدحت باشا

في ليلة ٦-١٧من جمادى الآخرة سنة ١٢٩٨هـ/١٦-١٧ مارس سنة١٨٨١م أيقظوا مدحت باشا من نومه في بيته في إزمير لكي يخبروه أن الجنود على وشك تطويق

(١) استند السيد محمود جلال الدين بك في عريضته هذه على المعلومات التي أفشتها له السيدة بروين فلك زوجة ابنه منير بك وكانت تعيش قبل زواجها في قصر السلطان عبدالعزيز عند وقوع الجريمة.

(٢) Buyuk Turkiye Tarihi, Yilmaz Oztuna,٧/١٧٤.

البيت،فأسرع الباشا بارتداء ملابسه والخروج من الباب الخلفي للبيت إلى أحدالشوارع الفرعية،ثم ركب عربة أجرة مسرعًا إلى القنصلية الفرنسية ملتجئًا إليها لكون القنصلية الإنجليزية بعيدة عن بيته،فكان بذلك أول شخص شغل منصب الصدارة العظمى يلتجئ إلى قنصلية بلد أجنبي طالبا الحماية،وقد كان عمله هذا شيئًا منكراً لا يليق برجل مثله شغل مناصب كبيرة في الدولة،وقد اعترف فيما بعد بسوء تصرفه هذا قائلاً بالحرف الواحد:(إن ذهابي إلى القنصلية الفرنسية يعد لطخة سوداء في تاريخي السياسي،وأنا أعترف أن هذه اللطخة سوف تبقى في ذريتي وأولادي من بعدي)[1]. في اليوم التالي استلم برقية من وزير العدل جودت باشا يقول فيها إنه يأسف جدا لالتجائه إلى دولة أجنبية،مظهرا بذلك عدم ثقته بعدالة بلده،ويؤكد فيها استحالة تجريم أي شخص دون دليل أو برهان،لذا فإنه ينصحه بالمثول أمام المحكمة. استدعى السلطان السفير الفرنسي تيسوت Ch.tissot وأخبره بضرورة تسليم مدحت باشا.فأبرق هذا إلى القنصل الفرنسي في إزمير بلسير Pelissier يأمره بتسليم الباشا فورا و دون تأخير ساعة واحدة.وهكذا تم تسليم الباشا إلى الحكومة ولم يقم مدحت باشا بتسليم نفسه باختياره كما أشيع من قبل بعض المؤرخين ويعد هذا العمل لطخة في تاريخ فرنسا السياسي لأن من المفروض أن لا تقوم بتسليم شخص لجأ إليها لجوءاً سياسيًا ولكن يمكن فهم السبب الذي دعا فرنسا إلى ذلك إذا علمنا أنها كانت قد احتلت فرنسا قبل أيام قليلة،وكانت تخشى تدخل الدولة العثمانية،لذا فإنها لم تكن ترغب في إثارة أية مشكلة إضافية معها.

في ليلة٢٣/٢٢مايو وصل مدحت باشا إلى إسطنبول عن طريق البحر،وكان التحقيق معه قد بدأ في الباخرة المقلة له،واستمر التحقيق في قصر جادركوشكي حيث كان محل اعتقاله في إسطنبول قدمت له قائمة بأسماء المحامين لكي يختار من بينهم من يقوم بمهمة الدفاع عنه،ولكن مدحت باشا طلب محاميا نصرانيا لم يكن اسمه موجودا في القائمة فرفض طلبه،لذا فقد اختار المحامي شهد أفندي ولكنه سرعان ما رفضه أيضًا إذ ارتاب في كونه عينا عليه،مبديا رغبته في القيام بنفسه بمهمة الدفاع.

(١)Izahli Osmanli Tarihi Kronolojisi, I.H. Danismend,٤/٣٢٠.

كانت التهمة الموجهة هي قيام المصارع آغا مع اثنين من أعوانه بقتل السلطان عبد العزيز بإيعاز من الداماد محمود جلال الدين باشا ونوري باشا،وكانت التهمة الموجهة إلى مدحت باشا أنه كان على علم بهذه الجريمة ومدبريها أوالراضين عنها على أقل تقدير،وقد رد مدحت باشا التهمة قائلاً: إنه وإن شك في رواية الانتحار إلا أنه اضطر للسكوت عندما رأى أن الوزراء الباقين لم يحركوا ساكنا[١].وقد اعترف المصارع مصطفى آغا بقيامه بقتل السلطان عبدالعزيز،شارحا ذلك للمحمة قائلا:(تلقيت أمراً بذلك من الداماد محمود جلال الدين باشا والداماد نوري باشا،لأنني كنت آنذاك في خدمة السلطان عبدالعزيز في القصر،وعندما سكت الحركة ذلك اليوم هجمنا عليه وبطحناه على ظهره،أمسك فخري بك بذراعه وقعد صديقاي الآخران على ركبته وعلى صدره وقمت أنا بقطع شرايين زنده بسكين،كما قمت بجرح بعض المواضع في يده اليمنى[٢]،أما أعوانه الآخرون فقد أنكروا هذه التهمة،طلب محامي الدفاع الرأفة بحاله لأنه لم يكن سوى آلة صماء بيد مسؤولين كبار في الدولة.

أحكام محكمة يلدز

عقدت جلسات المحكمة في قصر يلدز تحت خيم أعدت لهذا الغرض وكانت الجلسات علنية،ولم تخول هيئة المحكمة أية صلاحيات استثنائية،دامت جلساتها ثلاثة أيام ثم أعلنت أحكامها وكانت كما يأتي:الحكم بالإعدام على كل من المصارعين مصطفى آغا ومصطفى الجزائري ومحمد آغا،وعلى رشدي باشا ومدحت باشا والداماد محمود باشا والداماد نوري باشا وفخري بك وعلي نجيب بك.والحكم بالسجن لمدة عشر سنوات على كل من سيد وعزت بك،وقد صادقت محكمة التمييز وكذلك باب الفتوى على هذه الأحكام،وأرسلت إلى السلطان عبدالحميد للمصادقة عليها[٣].

تمهل السلطان في المصادقة على هذه الأحكام،فشكل لجنة مؤلفة من خمسة وعشرين شخصا من كبار رجال المملكة وعلمائها مدنيين وعسكريين،وخول هذه للجنة صلاحية

(١) Buyuk Turkiye Tarihi, Yilmaz Oztuna, ٤/١١٥.

(٢) Ulu Hakan, N.F.Kisakurek, s. ٢٠١.

(٣) أورخان محمدعلي،السلطان عبدالحميد،أحكام محكمة يلدز

تصديق أو تعديل هذه الأحكام،وقد صوت ١٥ عضوا من هذه اللجنة بالتصديق على أحكام الإعدام بينما صوت الباقون وهم عشرة على تخفيف هذه الأحكام أي إن الاكثرية صادقت على قرار الأعدام،وقد كان بطل معركة بلفنة المشير الغازي عثمان باشا الذي كان معروفا بنزاهته واستقامته واستحالة التأثير عليه من قبل أي شخص كان من بين الذي صادقوا على قرار الإعدام،إذ كتب في سجل المجلس:(إن تنفيذ الأحكام القانونية هو من الأمور المقدسة ولما كان الشهيد المرحوم سلطانا ،لذا فإنني أسترحم من سلطاني تنفيذ الأحكام لكي يكون عبرة لمن اعتبر[١]،ومع ذلك فإن السلطان عبد الحميد خفف أحكام الأعدام إلى السجن المؤبد على عادته في الابتعاد عن إزهاق الأرواح،وسيق المحكوم عليهم إلى سجن الطائف في غرة رمضان سنة١٢٩٩هـ-٨/٧/ ١٨٨١م لقضاء مدة العقوبة.

وفاة مدحت باشا

بقي مدحت باشا في سجن الطائف ثلاث سنوات تقريبا ألفت عن حياته فيه قصص خيالية وبأسلوب روايات المغامرات،فالسلطان هناك على ادعاء هذه القصص تحاول قتله عدة مرات فلا تنجح،فمرة تدس له السم في الحليب،فلا يكتشف ذلك سوى خادمه عارف فيسكبه،ومرة أخرى تدس له السم في الطعام فلا تنجح كذلك،فتفكر السلطان هناك برشوة خادمه عارف،وتطلب منه ترك باب الغرفة مفتوحا من الداخل لكي يسهل دخول الحرس إليه ليلا للقضاء عليه،ولكن الخادم يرد كل العروض والمغريات المقدمة إليه من السلطات،ويقوم بإخبار سيده بالأمر ولا يحتاج الإنسان إلى ذكاء كبير ليعرف مدى التلفيق في هذه القصص،إذ أن السلطات لو رغبت في قتله فلاتحتاج في ذلك إلى إغراء خادم،ولا يستطيع خادم أن يكون سداً أمام رغبة هذه السلطات التي تستطيع بكل بساطة نقله،ثم إن غرف السجن لا تغلق من الداخل بل من الخارج،والمفاتيح عند إدارة السجن،كما أن كسر باب مغلق ليس بشيء صعب وليس مدحت باشا في موقع الصدارة العظمى حتى يحتاج قتله إلى تدابير سرية كدس

(١) عن كتاب(الذكريات)للصدر الأعظم السابق سعيد باشا نقلاً عن كتاب:
Izahli Osmanli Tarihi Kronolojisi, I.H. Danismend, ٤/٣٢١

سم أو رشوة خادم،بل هو في أيدي السلطات تستطيع أن تفعل به ما تشاء. وأخيراً و في١٠-١١رجبه/٦-٧مارس١٨٨٤م توفي مدحت باشا في سجنه من ورم خبيث في جنبه يحتمل أن يكون سرطانا بادعاء السلطة الرسمية.

مجلس المبعوثان(مجلس النواب)

مجلس المبعوثان أسسه السلطان عبدالحميد الثاني في سنة ١٨٧٦م كما أصدرلأول مرة دستورا،هو دستور سنة ١٨٧٦م،وقد أجريت الانتخابات العامة لاول مرة على أساس دمج الأجناس والطوائف في بوتقة واحدة.واسفرت عن تمثيل العثمانيين المسلمين وغير المسلمين،أي الاعضاء المنتخبين من أهالي الولايات العثمانية المنتشرين في كل أصقاع الدولة العثمانية في قارات أسيا وأفريقيا وأوربا إلى العاصمة أسطنبول التي كان فيها يجتمع المجلس،وقد حصل المسلمون العثمانيون على٧١ مقعداً وحصل المسيحيون على ٤٤ مقعداً واليهود ٤مقاعد وفي ١٩ اذار - مارت أو مارس سنة ١٨٧٧م اجتمع

الجلسة الافتتاحية لمجلس المبعوثان عام ١٩٠٨م

البرلمان في قاعة قصر دولمه بقجة والقى السلطان عبدالحميد الثاني كلمة العرش في افتتاح المجلس،وبعد ذلك أخذ المجلس يجتمع ويناقش القوانين ويقر الموازنة،وفي١٤ شباط سنة ١٨٧٨م عطل البرلمان ويعلق الدستور من قبل السلطان عبدالحميد وذلك بعد فترة قصيرة.بسبب ظروف الحرب التي قامت بين الدولة العثمانية وروسيا.

وفي ٢٠ أيلول/سبتمبر من العام ١٩٠٨م أعيد نشر قانون الانتخابات،وهو القانون الانتخابي الثاني الذي أصدره مجلس المبعوثان الأول في حزيران/يونيو من العام ١٨٧٧ ،وأجريت بموجبه الانتخابات للعام ١٩٠٨م.وقد نص القانون على أن يجري انتخاب أعضاء مجلس المبعوثان،وذلك على أساس أن يمثل كل عضو خمسين ألفًا من السكان،واشترط على أعضاء مجلس المبعوثان أن يكونوا من التابعية العثمانية،وأن يتقنوا اللغة التركية،وأن لايجمعوا بين عضوية المجلس ووظيفة حكومية أخرى باستثناء النظارة (الوزارة)،وذلك عملاً بمبدأ الفصل بين السلطتين التشريعية والتنفيذية الذي لا يجيز الجمع بين النيابة واشغال منصب حكومي.وقد استمر مجلس المبعوثان بالاجتماع حتى سنة ١٩١٤م وهي السنة التي قامت فيها الحرب العالمية الاولى،وسنكتفي بإيراد مايخص إقليماً واحدًا فقط،وهو إقليم بلاد الشام.

نواب مناطق بلاد الشام في مجلس النواب العثماني(المبعوثان)١٩٠٨-١٩١٢م

أخذ الناخبون في مناطق بلاد الشام يتهيئون لإجراء الانتخابات النيابية لاختيار ممثليهم في مجلس المبعوثان العثماني،وتبين أن عدد ممثلي ولايات بلاد الشام الثلاث(بيروت وحلب،وسورية) ومتصرفيتيها المستقلتين التابعتين إداريًا للعاصمة إسطنبول(ديرالزور والقدس الشريف) بحسب عدد السكان يبلغ ٢٨ نائبًا من أصل المجموع الكلي للنواب البالغ ٢٨١ ،وقد جرى توزيع نواب مناطق بلاد الشام على النحو التالي:

٦نواب يمثلون ولاية بيروت وملحقاتها(بيروت،وطرابلس الشام،وعكا،واللاذقية ونابلس.

١٠نواب يمثلون ولاية حلب وملحقاتها (حلب،وأنطاكية،وعينتاب،وأورفة،ومرعش).

٨ نواب يمثلون ولاية سورية وملحقاتها (دمشق الشام،وحماة،وحوارن،والكرك).

نائب واحد يمثل متصرفية دير الزور.

٣ نواب يمثلون متصرفية القدس الشريف.

والواقع أنه لئن جرى انتخاب ٢٨ نائبًا يمثلون مناطق بلاد الشام كافة في الدورة التشريعية الأولى لمجلس المبعوثان في العهد الدستوري العثماني الثاني،إلا أن عدد نواب

بلاد الشام في المجلس إبان السنوات الأربع لتلك الدورة التي عقدت في العام ١٩٠٨م وامتدت لغاية العام١٩١٢م ارتفع ليبلغ ٣٥ نائبًا،إذ جرى انتخاب٧ نواب جدد في الانتخابات التكميلية الفرعية التي أجريت لملء المقاعد النيابية التي شغرت بعد وفاة ٣ نواب،واستقالة ٤ آخرين.ونستعرض فيما يلي أسماء النواب الذين مثلوا مناطق بلاد الشام كافة في الدورة التشريعية الأولى ١٩٠٨-١٩١٢م لمجلس المبعوثان في العهد الدستوري العثماني الثاني.

ولاية بيروت:نائب بيروت:رضا بك الصلح. نائب بيروت:سليمان أفندي البستاني استقال لاحقا.نائب طرابلس الشام:فؤاد خلوصي بك.نائب اللاذقية:الأميرمحمد أرسلان (لقي مصرعه في الحركة الارتجاعية المعروفة بحادثة ٣١ مارس/آذار١٣٢٥).نائب عكا: الشيخ أسعد توفيق أفندي الشقيري. نائب نابلس:الشيخ أحمد أفندي الخماش.

نواب مناطق بلاد الشام في مجلس النواب العثماني(المبعوثان) ١٩٠٨-١٩١٢م

ولاية حلب:نائب حلب:مصطفى نوري أفندي الشيخ(استقال لاحقا،وهو يعرف في الحوليات التركية العثمانية باسم عينتابلي مصطفى أفندي.نائب حلب:مرعي باشا الملاح (استقال لاحقا). نائب حلب:الشيخ مسعود أفندي الكواكبي. نائب حلب:نافع باشا الجابري.نائب أنطاكية: الحاج رفعت آغا بركات(توفي).نائب عينتاب:علي جناني بك. نائب أورفة:الشيخ صفوت أفندي.نائب أورفة:محمود نديم بك. نائب مرعش:حسن فهمي أفندي.نائب مرعش:محمد شكري بك.

ولاية سورية:نائب دمشق الشام:شفيق بك المؤيد العظم.نائب دمشق الشام:رشدي بك الشمعة. نائب دمشق الشام:الشيخ محمد أفندي العجلاني(توفي). نائب دمشق الشام:الشيخ سليمان أفندي الجوخدار(استقال لاحقا).نائب حماة:خالد آغا البرازي. نائب حماة:الشيخ عبد الحميد أفندي الزهراوي.نائب حوران:الزعيم القبلي الشيخ سعد الدين أفندي المقداد. نائب الكرك:الزعيم القبلي الشيخ توفيق بك المجالي.

متصرفية دير الزور:نائب دير الزور:خضر لطفي بك

متصرفية القدس الشريف:نائب القدس الشريف:روحي بك الخالدي. نائب القدس الشريف:سعيد بك الحسيني. نائب القدس الشريف: حافظ بك السعيد.

النواب الجدد في الانتخابات التكميلية الفرعية

شهدت السنوات الأربع للدورة التشريعية الأولى لمجلس المبعوثان في العهد الدستوري العثماني الثاني التي عقدت في العام ١٩٠٨م وامتدت لغاية العام١٩١٢م إجراء انتخابات تكميلية فرعية في كل من ولاية بيروت وحلب وسورية لملء المقاعد النيابية التي فرغت بعد وفاة ٣ نواب،واستقالة ٤ آخرين. ونستعرض فيما يلي أسماء النواب السبعة الجدد الذين فازوا في الانتخابات النيابية التكميلية الفرعية تلك:

ولاية بيروت:نائب بيروت:كامل بك الأسعد.وقد انتخب في ٤ تشرين الأول/اكتوبر من العام١٩١١م خلفًا للنائب سليمان أفندي البستاني المستقيل في٣١ كانون الثاني يناير من العام ١٩١١م عقب تعيينه عضواً في مجلس الأعيان.

نائب اللاذقية: الأمير أمين أرسلان،وقد انتخب في٢٩يونيو/حزيران من العام١٩٠٩م خلفًا للنائب الأميرمحمد أرسلان،الذي كان قد لقي مصرعه في"الثورة المضادة"التي باءت بالفشل بين السابع والثالث عشر من نيسان ١٩٠٩م والمعروفة في الحوليات العثمانية بـ(حادثة٣١مارس/آذار/١٣٢٥هـ) أو (الحركة الارتجاعية)،في إشارة إلى محاولة القائمين عليها إعادة الحكم الفعلي إلى السلطان عبدالحميد.

ولاية حلب:نائب حلب:محمد بهاء الدين بك الأميري.وقد انتخب في ٢٤ تشرين الثاني نوفمبر من العام ١٩٠٩م خلفًا للنائب مرعي باشا الملاح المستقيل في

١٤ آب أغسطس من العام ١٩٠٩م عقب تعيينه مديراً لأوقاف ولاية حلب.
نائب حلب:آرتين أفندي بوشكزنيان.وقد انتخب في ٢٤ تشرين الثاني/نوفمبر من العام ١٩٠٩م خلفا للنائب مصطفى نوري أفندي الشيخ المستقيل في ١٥ أيلول سبتمبر من العام ١٩٠٩م عقب تعيينه عضواً في مجلس شورى الدولة.
نائب حلب:الشيخ بشيرأفندي الغزي.وقد انتخب في٢٨حزيران/يونيو من العام١٩١٠ خلفًا للنائب الحاج رفعت آغا بركات المتوفى في ٢٢شباط/ فبراير من العام١٩١٠م.

ولاية سورية:نائب دمشق الشام:عبدالرحمن باشا اليوسف. وقد انتخب في٢١ كانون الأول ديسمبر من العام ١٩٠٩م خلفًا للنائب الشيخ سليمان أفندي الجوخدار المستقيل في ١٤ كانون الأول/ديسمبر من العام١٩٠٩م.
نائب دمشق الشام:شكري بك العسلي.وقد انتخب في ٢٨ كانون الثاني/يناير من العام١٩١١م خلفًا للنائب الشيخ محمد أفندي العجلاني المتوفى في ٢٤ كانون الأول ديسمبر من العام ١٩١٠م.

توفيق برو،العرب والترك في العهد الدستوري العثماني،دمشق،دار طلاس.صحيفة "الاتحاد العثماني"،(بيروت) ع٢١ س١،تا ١٩٠٨/١٠/١٥م.عثمانلي مبعوثلري،١٣٢٤-١٣٢٨هـ، أحمد إحسان وشركا سي مطبعه سي،إسطنبول١٩٠٩م. كامل الغزي نهر الذهب في تاريخ حلب،تحقيق د. شوقي شعث ومحمود فاخوري،حلب،دار القلم العربي،ط٢،١٩٩٣ ج٣. مجلس مبعوثان: برنجي دوره اجتماعيه،٤ كانون الأول سنة ١٣٢٤هـ- ٥ كانون ثاني سنة١٣٢٧هـ،مجلس مبعوثان باش كتابتي،إسطنبول ١٣٢٨هـ. دور النواب العرب في مجلس النواب،الدكتور عصمت برهان الدين عبد القادر رئيس قسم التاريخ بكلية الاداب - جامعة الموصل.

مجلس(المبعوثان) نواب مناطق بلاد الشام

ولاية بيروت:نائب بيروت رضا بك الصلح،الدورة التشريعية الأولى ١٩٠٨-١٩١٢م لمجلس المبعوثان في العهد الدستوري العثمانى الثانى.

ولاية بيروت:نائب طرابلس الشام فؤاد خلوصي بك الدورة التشريعية الأولى ١٩٠٨-١٩١٢م لمجلس المبعوثان في العهد الدستوري العثماني الثاني.

ولاية بيروت: نائب اللاذقية:الأمير محمدأرسلان الدورة التشريعية الأولى ١٩٠٨-١٩١٢م لمجلس المبعوثان في العهد الدستوري العثماني الثاني. لقي أرسلان مصرعه في "الثورة المضادة" التي باءت بالفشل بين السابع والثالث عشرمن نيسان١٩٠٩م والمعروفة بـ(حادثة٣١مارس).

ولاية بيروت:نائب بيروت سليمان أفندي البستاني الدورة التشريعية الأولى ١٩٠٨-١٩١٢م،لمجلس المبعوثان في العهد الدستوري العثماني الثاني استقال البستاني في٣١ كانون الثاني يناير من العام ١٩١١م،عقب تعيينه عضواً في مجلس الأعيان.

ولاية بيروت:نائب نابلس،الشيخ أحمد أفندي الخماش الدورة التشريعية الأولى(١٩٠٨-١٩١٢) لمجلس المبعوثان في العهد الدستوري العثماني الثاني.

ولاية بيروت:نائب عكا،أسعد توفيق أفندي الشقيري الدورة التشريعية الأولى(١٩٠٨-١٩١٢) لمجلس المبعوثان في العهد الدستوري العثماني الثاني.

ولاية حلب:نائب حلب مرعي باشا الملاح الدورة التشريعية الأولى (١٩٠٨-١٩١٢م) لمجلس المبعوثان في العهد الدستوري العثماني الثاني.استقال الملاح في ١٤آب/أغسطس من العام ١٩٠٩م عقب تعيينه مديراً لأوقاف ولاية حلب.

ولاية حلب: نائب حلب مصطفى نوري أفندي الشيخ (يعرف في الحوليات التركية العثمانية باسم"عينتابلي مصطفى أفندي) الدورة التشريعية الأولى (١٩٠٨-١٩١٢) لمجلس المبعوثان في العهد الدستوري العثماني الثاني.استقال الشيخ في١٥ أيلول سبتمبر من العام ١٩٠٩م عقب تعيينه عضواً في مجلس شورى الدولة.

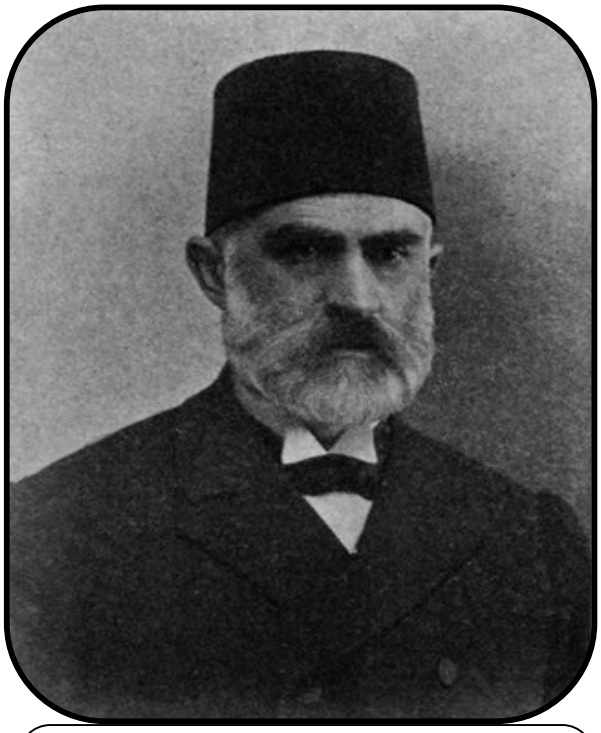

ولاية حلب:نائب حلب نافع باشا الجابري الدورةالتشريعية الأولى(١٩٠٨-١٩١٢)لمجلس المبعوثان في العهدالدستوري العثماني الثاني.

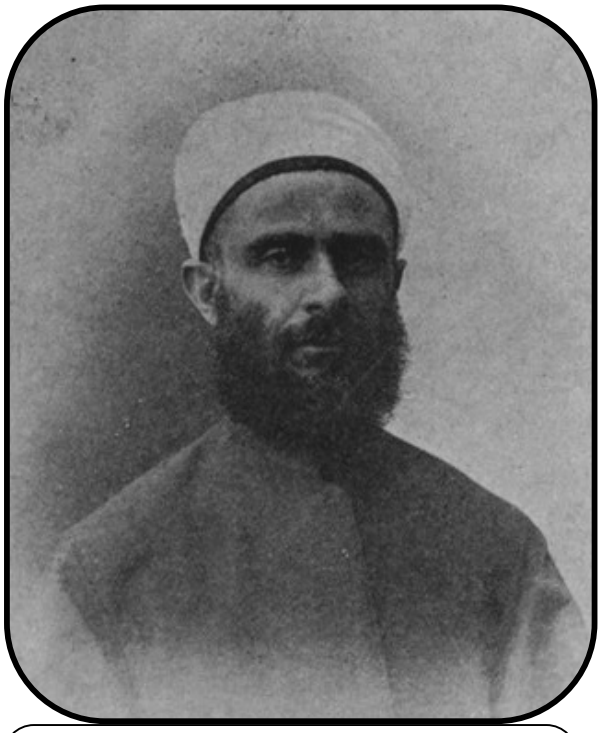

ولاية حلب:نائب حلب،الشيخ مسعود أفندي الكواكبي الدورةالتشريعية الأولى(١٩٠٨-١٩١٢) لمجلس المبعوثان في العهد الدستوري العثماني الثاني.

ولايةحلب:نائب عينتاب علي جناني بك الدورةالتشريعية الأولى(١٩٠٨-١٩١٢)لمجلس المبعوثان في العهدالدستوري العثماني الثاني.

ولاية حلب:نائب أنطاكية الحاج رفعت آغا بركات الدورة التشريعية الأولى(١٩٠٨-١٩١٢) لمجلس المبعوثان في العهد الدستوري العثماني الثاني.توفي بركات في فبرايرمن العام١٩١٠م.

ولاية حلب:نائب أورفة محمود نديم بك الدورة التشريعية الأولى(١٩٠٨-١٩١٢)لمجلس المبعوثان في العهدالدستوري العثماني الثاني.

ولاية حلب:نائب أورفة الشيخ صفوت أفندي الدورة التشريعيةالأولى(١٩٠٨-١٩١٢)لمجلس المبعوثان في العهد الدستوري العثماني الثاني.

ولايةحلب:نائب مرعش محمدشكري بك الدورة التشريعية الأولى(١٩٠٨-١٩١٢)لمجلس المبعوثان في العهدالدستوري العثماني الثاني.

ولاية حلب:نائب مرعش حسن فهمي أفندي الدورة التشريعيةالأولى(١٩٠٨-١٩١٢)لمجلس المبعوثان في العهد الدستوري العثماني الثاني.

ولاية سورية:نائب دمشق الشام رشدي بك الشمعة الدورة التشريعية الأولى(١٩٠٨-١٩١٢) لمجلس المبعوثان في العهد الدستوري العثماني الثاني.

ولاية سورية: نائب دمشق الشام شفيق بك المؤيد العظم الدورة التشريعية الأولى(١٩٠٨-١٩١٢) لمجلس المبعوثان في العهد الدستوري العثماني الثاني.

ولايةسورية:نائب دمشق الشام الشيخ سليمان أفندي الجوخدار الدورة التشريعية الأولى(١٩٠٨-١٩١٢)لمجلس المبعوثان في العهد الدستوري العثماني الثاني.استقال الجوخدارفي في ١٤كانون الأول ديسمبر من العام ١٩٠٩.

ولاية سورية: نائب دمشق الشام الشيخ محمد أفندي العجلاني الدورة التشريعية الأولى(١٩٠٨-١٩١٢)لمجلس المبعوثان في العهد الدستوري العثماني الثاني.

ولاية سورية:نائب دمشق الشام الشيخ محمد أفندي العجلاني الدورة التشريعية الأولى(١٩٠٨-١٩١٢)لمجلس المبعوثان في العهد الدستوري العثماني الثاني.

ولاية سورية:نائب حماة خالد آغا البرازي الدورة التشريعية الأولى(١٩٠٨-١٩١٢)لمجلس المبعوثان في العهدالدستوري العثماني الثاني.

ولايةسورية:نائب حوران الزعيم القبلي الشيخ سعدالدين أفندي المقداد الدورة التشريعية الأولى(١٩٠٨-١٩١٢) لمجلس المبعوثان في العهد الدستوري العثماني الثاني.

ولايةسورية:نائب حماة الشيخ عبدالحميد أفندي الزهراوي الدورة التشريعية الأولى(١٩٠٨-١٩١٢)لمجلس المبعوثان في العهد الدستوري العثماني الثاني.

متصرفية ديرالزور:نائب ديرالزور خضر لطفي بك الدورة التشريعيةالأولى(١٩٠٨-١٩١٢)لمجلس المبعوثان في العهد الدستوري العثماني الثاني.

ولاية سورية: نائب الكرك الزعيم القبلي الشيخ توفيق بك المجالي الدورة التشريعية الأولى(١٩٠٨-١٩١٢)لمجلس المبعوثان في العهد الدستوري العثماني الثاني.

ولاية سورية:نائب حماة الشيخ عبدالحميدأفندي الزهراوي الدورة التشريعية الأولى(١٩٠٨-١٩١٢)لمجلس المبعوثان في العهد الدستوري العثماني الثاني.

متصرفيةالقدس:نائب القدس الشريف روحي بك الخالدي الدورة التشريعية الأولى(١٩٠٨-١٩١٢) لمجلس المبعوثان في العهد الدستوري العثماني الثاني.

متصرفية القدس:نائب القدس الشريف حافظ بك السعيد الدورة التشريعية الأولى(١٩٠٨-١٩١٢) لمجلس المبعوثان في العهد الدستوري العثماني الثاني..

متصرفية القدس:نائب القدس الشريف سعيدبك الحسيني الدورة التشريعية الأولى (١٩٠٨-١٩١٢)لمجلس المبعوثان في العهد الدستوري العثماني الثاني.

متصرفيةالقدس:نائب القدس الشريف روحي بك الخالدي الدورة التشريعية الأولى(١٩٠٨-١٩١٢)لمجلس المبعوثان في العهد الدستوري العثماني الثاني.

ولاية بيروت:نائب اللاذقية الامير مين أرسلان الدورة التشريعية الأولى(١٩٠٨-١٩١٢) لمجلس المبعوثان في العهد الدستوري العثماني الثاني. انتخب أرسلان في ٢٩ يونيو/حزيران من العام ١٩٠٩م خلفا للنائب الأمير محمد أرسلان،الذي كان قد لقي مصرعه في "الثورة المضادة" التي باءت بالفشل بين السابع والثالث عشر من نيسان١٩٠٩م والمعروفة في الحوليات العثمانية بـ(حادثة٣١مارس).

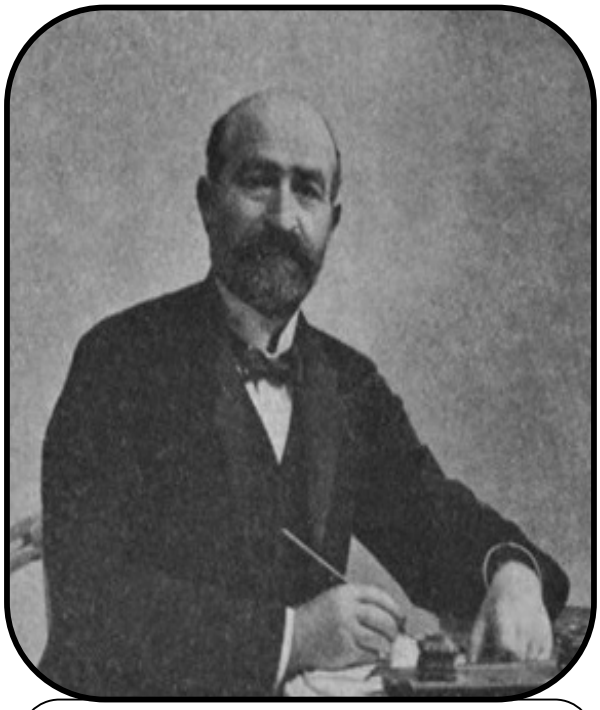

ولاية حلب:نائب حلب آرتين أفندي بوشكزنيان الدورة التشريعية الأولى (١٩٠٨-١٩١٢) لمجلس المبعوثان في العهد الدستوري العثماني الثاني.وقد انتخب في ٢٤ تشرين الثاني/نوفمبر من العام ١٩٠٩م خلفا للنائب مصطفى نوري أفندي الشيخ المستقيل في ١٥ أيلول/سبتمبر من العام ١٩٠٩م عقب تعيينه عضوا في مجلس شورى الدولة.

ولايةحلب:نائب حلب محمدبهاء الدين بك الأميري الدورة التشريعية الأولى(١٩٠٨-١٩١٢)لمجلس المبعوثان في العهد الدستوري العثماني الثاني.وقد انتخب في ٢٤ تشرين الثاني/ نوفمبر من العام ١٩٠٩م خلفا للنائب مرعي باشا الملاح المستقيل في ١٤ آب/ أغسطس من العام ١٩٠٩م عقب تعيينه مديرا لأوقاف ولاية حلب.

ولاية سورية: نائب دمشق الشام شكري بك العسلي.الدورة التشريعية الأولى(١٩٠٨-١٩١٢) لمجلس المبعوثان في العهدالدستوري العثماني الثاني. وقد انتخب في ٢٨ كانون الثاني يناير من العام ١٩١١م،خلفاللنائب الشيخ محمدأفندي العجلاني المتوفى في٢٤كانون الأول ديسمبرمن العام١٩١٠.

ولاية سورية: نائب دمشق الشام عبد الرحمن باشا اليوسف الدورة التشريعية الأولى(١٩٠٨-١٩١٢) لمجلس المبعوثان في العهد الدستوري العثماني الثاني. وقد انتخب في ٢١ كانون الأول/ ديسمبر من العام ١٩٠٩ خلفا للنائب الشيخ سليمان أفندي الجوخدارالمستقيل فى ١٤ كانون الأول/ديسمبر من العام ١٩٠٩.

ولايةحلب:نائب حلب الشيخ بشير افندي الغزي.الدورة التشريعيةالأولى(١٩٠٨-١٩١٢) لمجلس المبعوثان في العهد الدستوري العثماني الثاني.وقدانتخب في٢٨حزيران يونيو من العام ١٩١٠م خلفا للنائب الحاج رفعت آغا بركات المتوفى في٢٢ شباط فبراير من العام١٩١٠.

الصور المرفقة لنواب مناطق بلاد الشام نقلاً عن الكتاب المرجعي المصور النادر- عثمانلي مبعوثلري،١٣٢٤-١٣٢٨هـ،(إستنبول:أحمد إحسان وشركا سي مطبعه سي،١٩١٠م).

شبتاي زيفي:وأطماع اليهود الدونمة في فلسطين

جاءت البداية في زمن السلطان محمد الرابع عندما سيق هذا اليهودي المتنبئ إلى قصر السلطنة القديم بمدينة أدرنة للمحاكمة ولم يكن يتقن اللغة التركية فكان يترجم له من الإسبانية رئيس الأطباء(حياتي زاده مصطفى فوزي) أفندي وهو يهودي الأصل كان قد أعلن إسلامه من قبل.وقد حضر المحاكمة مصطفى باشا وكيل الصدر الأعظم،وشيخ الإسلام(منقاري زاده يحيى أفندي)وإمام السلطان الواعظ(محمد أفندي الواني) وكان السلطان محمد الرابع يراقب المحاكمة بنفسه من وراء حجاب. بدأت المداولات ووجهت التهم إلى المدعى عليه فلم يستطع لها ردا ولكن في آخر لحظة بادره مترجمه(يهودي الأصل)بفكرة تنقذه من الإعدام وتكسبه عند السلطان هيبة ومقامًا.اقترح عليه المترجم رئيس الأطباء أن يعلن إسلامه كي ينجو بنفسه وحاول إقناعه باللغة الإسبانية أنه إن أعلن تراجعه عن دعوته فإنه يمكن أن يواصلها سراً، لأن أتباعه يؤمنون به إيمانًا أعمى فقبل شبتاي الاقتراح وأعلن إسلامه فعفى عنه السلطان وأطلق سراحه وخصص له مائة وخمسين آقجة فضية شهريًا،ثم بدل الحاخام القديم شبتاي اسمه فصار يدعى(محمد عزيز أفندي)واغتسل ونطق بالشهادتين ولبس الجبة والعمامة ثم استطاع بأسلوبه الخاص أن يقنع الكثير من أتباعه بإعلان إسلامهم،لم ينس أنه المسيح المنتظر الذي سيخلص بني إسرائيل من الذل والعبودية.وقد أطلق الأتراك على هذه الفئة الجديدة من المسلمين عبارة(دونمه) وكانت لهذه الطائفة طقوس وأعياد خاصة وعبادات غريبة ليس هذا مجال تفصيلها ولكن المؤرخين والباحثين يجمعون على أنهم يظهرون الإسلام ويحافظون على دينهم ويهوديتهم وقلة منهم من حسن إسلامه اكد قاضي المحكمة،أن المسألة تعد بالنسبة للدولة العثمانية،وعلى مسمع من السلطان الذي جلس في غرفة مجاورة،وعرض عليه الإسلام فدخل فيه تحت اسم محمد عزيز أفندي،وطلب من السلطات العثمانية أن تسمح له بدعوة اليهود إلى الاسلام،فأذنت له وانتهزها فرصة فأنطلق بين اليهود يواصل دعوته إلى الايمان به ويحثهم على ضرورة تجمعهم معلنين في ظاهرهم الاسلام مبطنين يهوديتهم

المنحرفة[1] مات شبتاي زيفي بمدينة اولكون بولاية ألبانيا ٣٠ أيلول/سبتمبر ١٦٧٥م بعد أن جمع حوله هناك آلاف الأتباع والمريدين من الطائفة اليهودية ليؤسس مذهبًا أو جماعة جديدة تتداخل فيها اليهودية بالإسلام ولم تنته القصة بموت الحاخام المسلم(محمد عزيز شبتاي أفندي) ولكنها تواصلت مع أتباعه الذين لعبوا دوراً كبيراً في إسقاط

الدولة العثمانية.فبينما عاش اليهود في الدولة العثمانية أربعة قرون ونصف القرن ينعمون بالأمن،الذي افتقر إليه أقرانهم في أوروبا المسيحية،على الرغم من وجود حركات تحررية ظهرت في الدولة العثمانية في القرن السابع عشر،قام بها اليهود ترمي إلى إنشاء وطن لهم في فلسطين،ودعوة بني جلدتهم لإقامة الهيكل هناك[2] الحقيقة أن البداية جاءت عندما كان اليهود قد تعرضوا للاضطهاد في الأندلس وروسيا وتشرد الكثير منهم هربًا من محاكم التفتيش فتقدمت تلك اليهودية من السلطان وسعت لديه بالحصول على إذن لهم بالهجرة الى البلاد،وبالفعل فقد استقر قسم منهم في إزمير[3] ،ومنطقة أدرنة

(١) الاستاذ أحمد،يهود الدونمة،دراسة في الأصول والعقائد والمواقف،ص٣٦. (٢) مع ذلك لم يواجهوا أي نوع من العداء من قبل سلاطين آل عثمان،حتى في عهد السلطان عبد الحميد الثاني،الذي اشتدت فيه المعارضة ضده،التي أشعل اليهود نارها. أنظر،محمد عبدالرحمن عريف،في مئوية عبدالحميد الثاني. شهادات لمن عزل السلطان،تركيا بوست،٢٨-٢-٢٠١٨.كذلك،مركز العلاقات العربية التركية،٩ آزار/مارس ٢٠١٨.(٣) علي حسون، تاريخ الدولة العثمانية،ط٣(بيروت: المكتب الإسلامي،١٤١٥هـ ١٩٩٤م)، ص٢٤١.

ومدينة بورصه،والمناطق الشمالية والغربية من الاناضول،وبعد استقرارهم في الدولة العثمانية طبقت الحكومة عليهم أحكام الشريعة الاسلامية حيث تمتعوا في ظلها بقدر كبير من الاستقلال الذاتي،وفي الواقع أن يهود إسبانيا لم يجدوا المأوى فقط في تركيا العثمانية بل وجدوا الرفاهية والحرية التامة بحيث أصبح لهم التسلسل الهرمي في الدولة إذ تغلغلوا في المراكز الحساسة منها مثل دون جوزيف ناسي،وغيرهم وتمتع يهود إسبانيا بشيء كبير من الاستقلال وأصبح رئيس الحاخاميين مخول له السلطة في الشؤون الدينية والحقوق المدنية بحيث أن مراسم وقرارات هذا الحاخام كانت تصدق من قبل الحكومة إلى درجة تحولت إلى قانون يخص اليهود[1] من بين هؤلاء الدونمة وهناك مفاهيم عديدة لكلمة الدونمة،إذ إن الكلمة من الناحية اللغوية مشتقة من الكلمة التركية(دونمك) التي تعني الرجوع أو العودة أو الارتداد.أما المفهوم الاجتماعي لهذه الكلمة فإنه يعني المرتد أو المتذبذب[2] وقد أطلق المعنى الخاص بالدونمة منذ القرن السابع عشر على اليهود الذين يعيشون في المدن الاسلامية وخاصة في ولاية سلانيك وأطلق العثمانيون اسم الدونمة على اليهود لغرض بيان وتوضيح العودة من اليهودية إلى الإسلام ثم أصبح علماً على فئة من يهود الاندلس الذين لجؤوا إلى الدولة العثمانية وتظاهروا باعتناق العقيدة الاسلامية[3]. إن مؤسس فرقة الدونمة هو شبتاي زيفي الذي أدعى بأنه المنتظر في القرن السابع عشر"المذكور سالفا"،حيث انتشرت في تلك الايام شائعة تقول أن المسيح سيظهر في عام ١٦٤٨م كي يقود اليهود في صورة المسيح وأنه سوف يحكم العالم في فلسطين،ويجعل القدس عاصمة الدولة اليهودية المزعومة،وكانت فكرة المسيح المنتظر ذائعة عندئذ في المجتمع اليهودي،وكانت الأوساط اليهودية القديمة تؤمن بقرب

(١) هنا تجدر الاشارة في هذا المجال،أن علي باشذا وزير الخارجية(أصبح فيما بعد الصدر الأعظم،قد شارك في بعثته الدبلوماسية عدد من اليهود في عام ١٨٦٥م المرسلة إلى الاقطار الأوروبية المسيحية)أنظر،الأستاذ أحمد،اليهود والدولة العثمانية،ط١(الشارقة: مؤسسة الرسالة دار البشير،١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م). ص٣٧.

(٢) بينما تعني هذه الكلمة من الناحية الدينية مذهبًا دينيًا جديداً،دعا إليه الحاخام ساباتاي زيفي،أما المفهوم السياسي لهذه الكلمة فإنه يعني اليهود المسلمين الذين لهم كيانهم الخاص.أنظر،الأستاذ أحمد،يهود الدونمة دراسة في الأصول والعقائد والمواقف ط١(بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م)، ص٨.

(٣) موفق بني مرجة، صحوة الرجل المريض، ط٨ (عمان: دار البيارق،١٤١٧هـ/ ١٩٩٦). ص٢٤٢.

ظهور هذا المسيح.ولذلك صادفت دعوة شبتاي تأييداً كبيراً بين يهود فلسطين ومصر وشرق أوروبا،بل أيدها كثير من اليهود وأصحاب الأموال لأغراض سياسية ومالية. قام يهود الدونمة بدورفعال في نصرة القوى المعادية للسطان عبدالحميد والتي تحركت من سلانيك لعزله وهم الذين سمموا أفكار الضباط الشباب انذاك ويسعون لذلك ولهم صحف ودور نشر وتغلغلوا في الاقتصاد العثماني وكل مناحي الحياة في الدولة العثمانية[١] في حقيقة الأمر،أهتم السلطان عبدالحميد بإبقاء الدونمة في ولاية سالونيك وعدم وصولهم إلى الاستانة،بغية عدم السيطرة عليها والتجنب من تحركاتهم،ونتيجة للموقف الجاد من عبدالحميد إزاء فرقة الدونمة اتبعوا إستراتيجية مضادة له،حيث تحركوا ضده على مستوى الرأي العام العثماني والجيش[٢].

السلطان عبدالحميد/ وهرتزل

حاول مؤسس الحركة الصهيونية الحديثة هرتزل٨٦٠ - ١٩٠٤م،إغراء السلطان عبد الحميد الثاني١٨٧٦- ١٩٠٩م،بالمال من أجل السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين لكنه لم يفلح.وذهب«هرتزل»إلى إسطنبول،في خمس رحلات،بين عامي١٨٩٦م و١٩٠٢م ليقابل السلطان عبدالحميد الثاني وفي مخيلته حلم لدولة يهودية(من النيل إلى الفرات) أو مكان آخر يضمن فكرة وطن قومي لليهود[٣] لم يفلح هرتزل في رحلته الأولى في مقابلة السلطان عبدالحميد،رغم أنه كان يحمل عرضًاب(١٨مليون جنيه إسترليني)،لسداد ديون الدولة العثمانية التى كانت تعاني من مشاكل اقتصادية آنذاك،واستطاع مقابلة الصدرالأعظم الذي اعتذر عن مفاتحة السلطان بالموضوع.وقابل الترجمان الأول للبلاط

(١) علي حسون،تاريخ الدولة العثمانية،ص٤٦.

(٢) نتيجة لموقف عبدالحميد من الدونمة، قام يهود الدونمة بالتعاون مع المحافل الماسونية للإطاحة به،وقد استخدم هؤلاء شعارات معينة كالحريةوالديمقراطية وازاحة(المستبد!)عبدالحميد،وعلى هذا الاساس قاموا بنشر الشقاق والتمرد في الدولة العثمانية بين صفوف الجيش.وكانت الغاية من هذا هي تحقيق المشروع الاستيطاني الصهيوني باستيطان فلسطين. وكان يهود الدونمة يشلكون اللبنة الأولى لتنفيذ المخططات اليهودية العالمية. أنظر،الأستاذ أحمد،يهود الدونمة دراسة في الأصول والعقائد والمواقف،ص٨١ .

(٣) صالح محروس محمد،في ذكرى مئوية وفاة السلطان عبدالحميد الثاني.وقف ضد الحلم اليهودي فعزلوه،تركيا بوست١٩ آزار/مارس ٢٠١٨.

وهو شخص يهودي اسمه داود أفندي،وله نفوذ داخل الدوائر العليا للإدارة العثمانية ولم يؤيد داود أفندي دعاوى«هرتزل»،وأخبره بأن اليهود أغنياء في الدولة العثمانية وهم أوفياء للسلطان منذ أيام الاضطهاد الإسباني،وقابل السلطان عبدالحميد الثاني صديق هرتزل الكونت البولندي(نيفلينسكي)وهو يهودي كان يعمل في البلاط السلطاني الذي أخبر هرتزل برسالة السلطان عبدالحميد التاريخية:(إذا كان هرتزل صديقك مثلما أنك صديقي أرجو أن تنصحه بألايتخذ خطوة أخرى في هذا الموضوع،أنا لاأستطيع بيع قدم

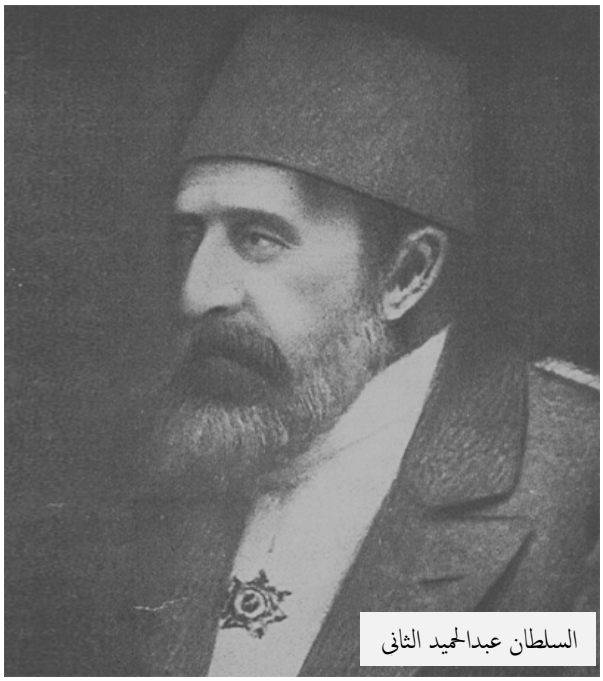
السلطان عبدالحميد الثانى

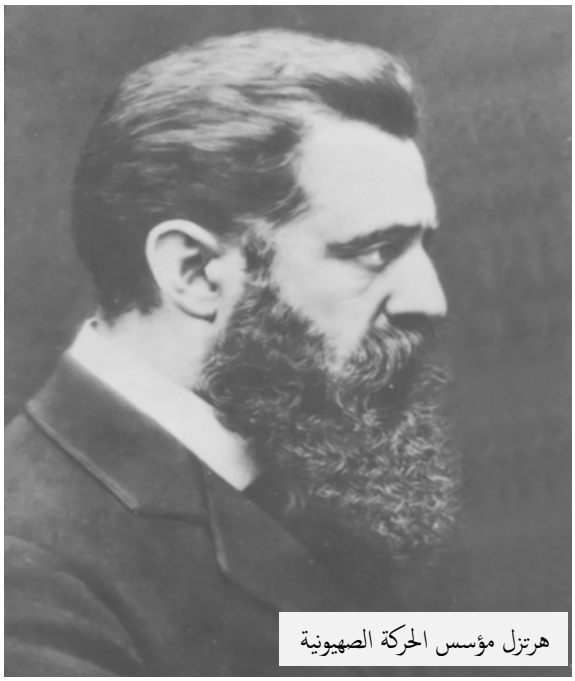
هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية

واحد من هذه الأرض،لأنها ليست ملكي ولكن ملك شعبي الذي روى هذه الأرض بدمائه،وسوف نغمرها بالدماء مرة أخرى قبل أن نسمح لأحد أن يغتصبها منا،دع اليهود يوفرون ملايينهم،وعندما تُقتسم إمبراطوريتي فيمكنهم أن يأخذوا فلسطين بلا مقابل إن جثتنا ستنقسم فقط،ولكني لا أوافق على تشريح جسدنا ونحن أحياء[1]

(١) لقد كان جواب السلطان قاطعا،وكأنما بذكائه الحاد توقع أن يحصلوا على مرادهم ولكن ليس على حساب سمعة الإمبراطورية العثمانيةومبادئها،رغم ضعفها وحاجتها للمال.وقد نقل الإمبراطور الألماني ويليام الثاني رغبات هرتزل إلى سفير الدولة العثمانية فأجابه قائلاً: إن السلطان لايرضى مطلقا سماع كلمة الصهيونية،كما لايرضى أن تقوم الصهيونية بتنفيذ مطالبها في إقامة دولة يهودية مستقلة في فلسطين(وعندما وصلت الرسالة للسلطان تحت ضغط القوى الصهيونية،جاء جواب السلطان كالصاعقة فقال:(طالما ظلت إمبراطوريتي قائمةوعلى قيدالحياة،فإن فلسطين لن تكون للبيع،ولن أتزحزح عن موقعي لأن الأرض المقدسةمن مسؤوليتي كخليفة للإسلام،وكسلطان للعرب الذين يشكلون تسعة أعشار البلاد)أنظر،صالح محروس محمد،في ذكرى مئوية وفاة السلطان عبدالحميد الثاني.وقف ضد الحلم اليهودي فعزلوه.

نجحت مساعي فامبيري(يهودي في القصر العثماني)في الحصول على موافقة السلطان على مقابلة«هرتزل»في شهر أيار/مايو سنة ١٩٠١م،فاتجه«هرتزل»إلى إسطنبول في زيارته الثالثة وقابل السلطان عبدالحميد لمدة ساعتين في قصر يلدز،وكان السلطان مستمعا اكثر منه متكلما،وكان يرخي لـ«هرتزل»في الكلام كي يدفعه للتحدث بكل ما يخطر بمخيلته من أفكار ومشاريع ومطالب.لم يحصل«هرتزل»من السلطان على جواب مباشر،ثم أبلغ لاحقًا«بأنه يمكن استقبال اليهود وتوطينهم في الإمبراطورية العثمانية بشرط ألا يقيموا معًا،وأن تحدد الحكومة عددهم مسبقا،ويمنحون الجنسية العثمانية وتفرض عليهم جميع الالتزامات المدنية،بما فيها الخدمة العسكرية مثل جميع العثمانيين.ورغم كل ذلك اتجه هرتزل نحو إسطنبول في شباط/ فبراير ١٩٠٢م للمرة الرابعة،حاملاً سلاح الرشوة والإغراء لكي يسمح السلطان بهجرة مفتوحة إلى فلسطين،ورغم اتصالاته بكل من يعرفه،فقد رفض السلطان مقابلته قطعيًا،رغم الأموال الكثيرة التي دفعها هنا وهناك،ولم يحصل إلا على خيبة الأمل[1]. في شهر تموز/ يوليو من نفس العام،اتجه «هرتزل»نحو إسطنبول للمرة الخامسة،حاملاً بدائل أخرى لفلسطين،وأحد هذه البدائل كانت العراق الحالي،وكان آنذاك جزءاً من الدولة العثمانية،ولم يستطيع توصيل فكرته للسلطان عبدالحميد لعلمه برفضه المطلق للمشروع الصهيوني والتفريط في أي شبر من أراضي الإمبراطورية العثمانية. لم يستطع صهاينة المراوغة مع السلطان،لذلك توجهوا إلى طريقة المساعدة والإنفاق،وكانت هذه الثغرة هي السبيل الوحيد أمام هرتزل،كي يؤثر على سياسة عبدالحميد الثاني تجاه اليهود.وفي هذا الصدد يقول هرتزل في مذكراته:(علينا أن ننفق عشرين مليون ليرة تركية لإصلاح الأوضاع المالية في تركيا.مليونان منها ثمنًا

(١) كانت الصدمة كبيرة على«فامبيري»الذي هرب من إسطنبول،وكشف عن وجهه الحقيقي،فوصف السلطان بأنه «سفاح قذر»،بينما كانت الصدمة اكبر على«هرتزل»الذي تذلل كثيراً للسلطان،فكتب في مذكراته عن السلطان(صغير الحجم،متسخ،لحيته المصبوغة،الطربوش المكبوس على الرأس وعلى الأخرى فهو أصلع،الأذنان البارزتان اللتان تعملان لحماية السروال،اليدان الضعيفتان في قفاز أبيض اكبر من حجمها،أساور القميص الخشنة غير المناسبة ذات اللون الصارخ،ثم الصوت الشاكي والتوتر في كل كلمة والخنوع في كل نظرة واسم عبدالحميد الثاني رمز لمجموعة من أحط الخبثاء،حرمت البلاد من أمنها وسعادتها،لم اكن أتصور وجود هذه العصابة من اللصوص)أنظر،صالح محروس محمد،في ذكرى مئوية وفاة السلطان عبدالحميد الثاني.وقف ضد الحلم اليهودي فعزلوه.

لفلسطين والباقي لتحرير تركيا العثمانية بتسديددديونها تمهيداً للتخلص من البعثةالأوروبية. ومن ثم تقوم بتمويل السلطان بعدذلك بأي قروض جديدة يطلبها[١].لقد أجرى هرتزل إتصالات مكثفة مع المسؤولين في ألمانيا والنمسا وروسيا وإيطاليا وإنكلترا وكانت الغاية من هذه الاتصالات هي إجراء حوار مع عبدالحميد الثاني. وفي هذا الصدد فقد نصح لاندو منذ٢١ شباط/فبراير١٨٩٦م الصديق اليهودي لهرتزل أن يقوم بواسطة صديقه نيولنسكي رئيس تحرير بريد الشرق[٢] في هذا الصدد يقول السلطان عبدالحميد في

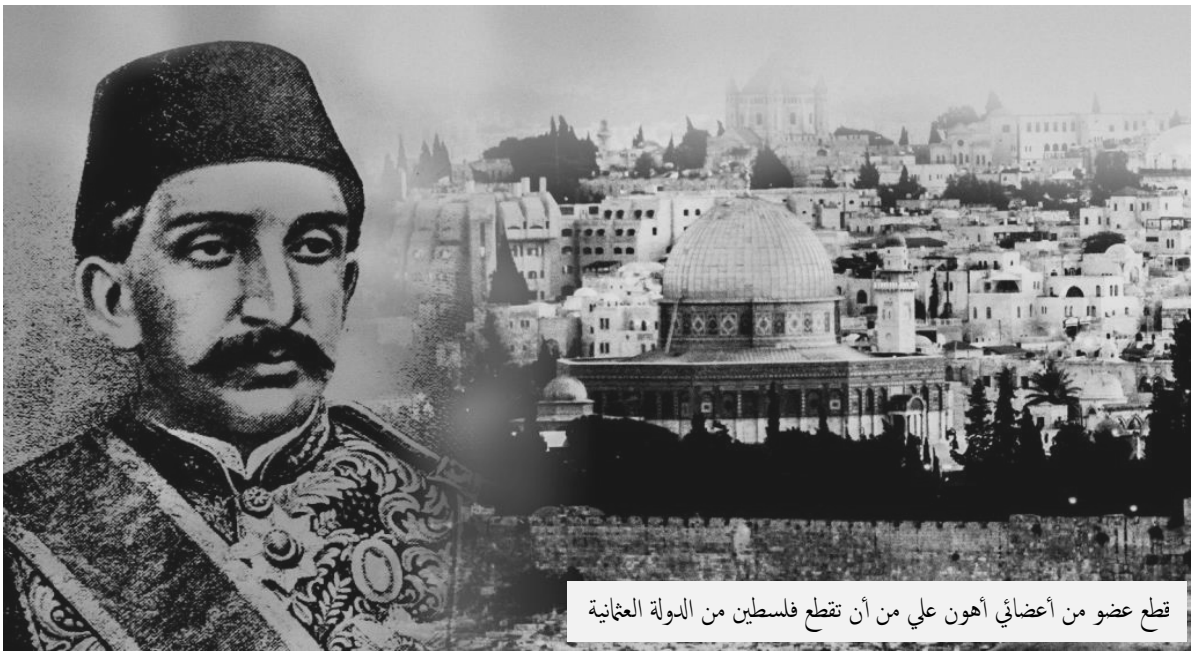

قطع عضو من أعضائي أهون علي من أن تقطع فلسطين من الدولة العثمانية

مذكراته:(ومن المناسب أن نقوم باستغلال الأراضي الخالية في الدولة،وهذا يعني من جانب آخر،أنه كان علينا أن ننهج إتباع سياسة تهجير خاصة،ولكننا لا نجد أن هجرة اليهود مناسبة،لأن غايتنا هي استيطان عناصر تنتمي إلى دين أسلافنا وتقاليدنا حتى لا يستطيعوا من الهيمنة على زمام الأمور في الدولة[٣] ،إزاء هذا الاخفاق قرر هرتزل أن يستخدم وسائل أخرى لاستمالة عبدالحميد الثاني،حيث عرض نفسه عن طريق

(١) الأستاذ أحمد اليهود والدولة العثمانية،ط١(الشارقة: مؤسسة الرسالة دار البشير،١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)،ص١١٦.

(٢) في هذا المجال يقول هرتزل:(إن نحن حصلنا على فلسطين،سندفع لتركيا كثيراً أوسنقدم عطايا كثيرة لمن،لمن يتوسط لنا،ومقابل هذا نحن مستعدون أن نسوي أوضاع تركيا المالية،سنأخذالأراضي التي يمتلكها السلطان ضمن القانون المدني مع أنه ربما لم يكن هناك فرق بين السلطة الملكية والممتلكات الخاصة)،أنظر،المصدر السابق،ص١١٧.

(٣) المصدر السابق،ص١٢٠.

نيولنسكي خدمته بواسطة القضية الأرمنية[1]،على هذا الأساس،فقد نشطت الدبلوماسية الصهيونية لاقناع الأرمن بالتخلي عن ثورتهم،ونتيجة لذلك فقد اتصل هرتزل مع سالزبوري والمسؤولين الانكليز بغية استخدامهم للضغط على الأرمن،كما نشط اليهود في مدن أوروبية اخرى مثل فرنسا للقيام بنفس الدور،إلا أن دبلوماسية هرتزل قد أخفقت بسبب عدم تحمس بريطانيا،لأن ذلك كان يعني تأييد سياسة عبد الحميد،الأمرالذي يؤدي في إثارة الرأي العام البريطاني ضدالحكومة،وكانت الدولة العثمانية تسعي في أحيان كثيرة إلى أبعاد اليهود العثمانيين عن أفكار هرتزل والحركة الصهيونية ومع ذلك فإنها في أحيان أخرى كانت تستخدم لغة التهديد معهم،وفي هذا الصدد أوضح علي فروخ بك الوسائل الاعلامية الاجنبية،وبصراحة تامة:(إنه لبعيد من الصواب أن يقوم الصهاينة على خلق صعوبات للحكومة العثمانية،بغية إرغامها على تحقيق مصالحها،ولكن هذه الصعوبات سوف تؤدي في نهاية الأمر إلى إلحاق الأذى بوجودهم السلمي والسعيد في الدولة العثمانية،وهذه النقطة واضحة بالنسبة لعلاقة العثمانيين مع رعايا الأرمن،لأن قلة من المتمردين الذين قاموا على إرتكاب الخطأ والحماقة معتمدين إلى الارشاد الميكافلي قد أدى في نهاية الأمر أن يندما على ما فعلوه،من دون التوصل على أية نتيجة).على الرغم،من اخفاق جهود هرتزل عند السلطان عبد الحميد،كتب هرتزل قائلاً:(يجب تملك الأرض بواسطة اليهود بطريقة تدريجية دون ما حاجة إلى استخدام العنف،سنحاول أن نشجع الفقراء من السكان الأصليين على التروح إلى البلدان المجاورة بتأمين أعمال لهم هناك مع خطر تشغيلهم في بلدنا إن الاستيلاء على الأرض سيتم بواسطة العملاء السريين للشركة اليهودية التي تتولى بعد ذلك بيع الأرض لليهود،علاوة على ذلك تقوم الشركة اليهودية بالإشراف على التجارة في بيع العقارات وشرائها،على أن يقتصربيعها على اليهود وحدهم)،وكتب هرتزل قائلاً:(أقر

(١) في هذا الصدد يقول هرتزل:(طلب مني السلطان أن أقوم بخدمة له،وهي أن أؤثر على الصحف الأوروبية،بغية قيام الأخيرة بالتحدث عن القضية الأرمنية بلهجة أقل عداء للأتراك،أخبرت نيولنسكي حالاً باستعدادي للقيام بهذه المهمة ولكني اكدت على إعطائي فكرة وافية عن الوضع الأرمني:من هم الأشخاص في لندن الذين يجب أن أقنعهم بما ريدون وأي الصحف يجب أن نستميلها لجهتنا وغير ذلك). أنظر،الأستاذ أحمد،اليهود والدولة العثمانية،ص١٣٢.

على ضوء حديثي مع السلطان عبدالحميد الثاني أنه لا يمكن الاستفادة من تركيا إلا إذا تغيرت حالتها السياسية أوعن طريق الزج بها في حروب تهزم فيها،أو عن طريق الزج بها في مشكلات دولية أو بالطريقتين معًا في آن واحد).كان السلطان عبدالحميد على علم تام بـ(أهداف الصهيونية)حيث قال في مذكراته السياسية:(لن يستطيع رئيس الصهاينة هرتزل أن يقنعني بأفكاره وقد يكون قوله:ستحل المشكلة اليهودية يوم يقوي فيه اليهودي على قيادة محراثه بيده،صحيحًا في رأيه،أنه يسعى لتأمين أرض لإخوانه اليهود لكنه ينسى أن الذكاء ليس كافيًا لحل جميع المشاكل،لن يكتفي الصهاينة بممارسة الأعمال الزراعية في فلسطين بل يريدون أموراً مثل تشكيل حكومة وانتخاب ممثلين إنني أدرك أطماعهم جيداً،لكن اليهود سطحيون في ظنهم أنني سأقبل بمحاولاتهم،وكما أنني أقدر في رعايانا من اليهود خدماتهم لدى الباب العالي فإني أعادي أمانيهم وأطماعهم في فلسطين[١]. وعن القدس يقول السلطان عبدالحميدالثاني:(لماذا نترك القدس...إنها أرضنا في كل وقت وفي كل زمان وستبقى كذلك،فهي من مدننا المقدسة،وتقع في أرض إسلامية،لابد أن تظل القدس لنا[٢] لقد كان غرض السلطان عبدالحميد في استماعه إلى(تيودور هرتزل)معرفة حقيقة الخطط اليهودية.ومدى قوة اليهود العالمية ومدى إنقاذ الدولة العثمانيةمن مخاطر اليهود.واتخذ السلطان عبدالحميد الثاني كل التدابير اللازمة في سبيل عدم بيع الأراضي إلى اليهود في فلسطين،وفي سبيل ذلك عمل جاهداً على عدم إعطاء أي امتياز لليهود من شأنه أن يؤدي إلى تغلب اليهود على أرض فلسطين.ولابد في هذه الحالة أن تتكاتف جهود المنظمات الصهيونية بغية إبعاد السلطان عبدالحميد الثاني من الحكم[٣]وتحركت الصهيونية العالمية،لتدعم أعداء السلطان عبدالحميد الثاني،وهم المتمردون الأرمن والقوميون في البلقان،والوقوف مع كل حركة انفصالية عن الدولة العثمانية[٤].

(١) أنظر،الأستاذ أحمد اليهود والدولة العثمانية،ص١٤٨.(٢) لقد شرع السلطان عبدالحميد في توجيه أجهزة الاستخبارات الداخلية والخارجية لمتابعة اليهود وكتابة التقرير عنهم وأصدر إرادتين سنتين الأولى في ٢٨حزيران/يونيو١٨٩٠م والأخرى في٧حزيران/يونيو ١٨٩٠م،في الأولى (رفض قبول اليهود في الممالك الشاهسانية) والأخرى:(على مجلس الوزراء دراسة تفرعات المسألة واتخاذ قرار جدي وحاسم في شأنها.أنظر،محمدحرب،العثمانيون في التاريخ والحضارة،ط١(دمشق: دار القلم،دمشق،١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م)،ص٥٧.
(٣) أنظر،اليهود والدولة العثمانية،ص١٥٨. (٤)محمدحرب، السطان عبد الحميد الثاني،ص٢٣٤.

عندما كانت الدولة العثمانية مدينة لأوروبا بمبلغ كبير من المال،فعرض اليهود تسديد هذه الديون مقابل تحقيق طلبهم،في أن ينشئ لهم وطنًا قوميًا في فلسطين،ولكن السلطان كان أثبت جأشًا وأقوى عزيمة عندما قال:(إن الديون ليست عاراً،ولكن العار أن أبيع أرضًا لليهود،فليحتفظ اليهود بأموالهم،فالدولة العثمانية لا يمكن أن تحتمي وراء حصون بنيت بأموال أعداء المسلمين).كان هذا الموقف المشرف من السلطان عبد الحميد لا يختلف عليه أحد،ولكن في كل زمان لابد أن يكون هناك عملاء ومعارضون وهذا ماحدث مع السلطان عبدالحميدالثاني فقد تعرض لاكثر من محاولة اغتيال بسبب سياسته تجاه القضية الفلسطينية ومن هذه المحاولات محاولة(علي سعاوي)الذي كان مؤيدًا للإنجليز،فقد حاول خلع السلطان عبدالحميد الثاني وتنصيب السلطان المخلوع مراد الخامس،ولكنه فشل في مؤامرته.وقامت أيضًا جمعية(كلانتي)الماسونية بمؤامرة لخلع السلطان في يوليو١٨٧٨م بعد شهرين تقريبًا من مؤامرة سعاوي،فقام السلطان بعزل الصدرالأعظم أدهم باشا المعروف بولائه للماسونية.وأيضًا حاول المتمردين الأرمن اغتيال السلطان في٢١يوليو١٩٠٥م،ولكنهم فشلوا في ذلك.ورغم كل تلك الجهود الصهيونية والضغوط الدولية فلم يزد مجموع من هاجر خلال سنوات الموجة الأولى الكبرى لهجرة اليهود(١٨٨٢م-١٩٠٣م)على عدد يتراوح بين٢٠-٣٠ ألف مهاجر لا اكثر،وذلك بعد جهود مضنية وضغوط واغراءات عرضنا بعضها،وعندما انقطع أمل اليهود في الالتفاف حول هذه الصخرة عزموا على تحطيمها.وبالفعل استطاع اليهود التغلغل في مؤسسات الدولة العثمانية،عن طريق اتباعهم وحلفائهم،والإمساك بزمام الأمور في الدولة،ورغم ذلك استطاع السلطان عبد الحميد الحفاظ على الدولة العثمانية فترة كبيرة من السقوط كما أنه حافظ على الأراضي الفلسطينية بكل جهده من أن تقع في أيدي اليهود،وكان من جراء سياسته هذه أن خسر عرشه من أجل فلسطين.

أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ(الدولة العثمانية)،لجمال عبد الهادي مسعود،ووفاء محمدرفعت جمعة. السلطان عبدالحميد وفلسطين (السلطان الذي خسر عرشه من أجل فلسطين)،لرفيق شاكر النتشة.الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط لعلي محمد الصلابي. الخلافة العثمانية،لعبدالمنعم الهاشمي.«مذكرات السلطان عبدالحميد الثاني»،دار القلم- دمشق- الطبعة الرابعة(١٤١٩هـ-١٩٩٨م) .«تاريخ الدولة العثمانية»ليلماز أوتونا. «صحوة الرجل المريض» لموفق بني المرجة. «تاريخ الدولة العلية العثمانية» لمحمد فريدبك المحامي. «عوامل انهيار الدولة العثمانية». «قضايا القرن العشرين»،للباحث محمد علي شاهين. يقظة الإسلام في تركيا»،لأنور الجندي.

المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بازل(بال)السويسرية

في٢٩يونيو١٨٩٧م،افتتاح المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بازل(بال) السويسرية برئاسة ثيودور هرتزل(١٨٦٠- ١٩٠٤م)،استمرت أعماله حتى٣١ آب(أغسطس) ١٨٩٧م،وحضرته وفود من أوروبا وأمريكا الشمالية وشمال أفريقيا،ووفد عن المستوطنين اليهود في فلسطين.المؤتمر الصهيوني الأول كان المؤتمر الافتتاحي للمنظمة الصهيونية شعر هرتزل بالإحباط بسب عدم حماس أغنياء اليهود بالمساعدة في تمويل مشروعه بالعمل على إقامة وطن لليهود ويكون إما في فلسطين،أو الأرجنتين،أو أوغندا. وكان هذا المؤتمر يضم كل الجاليات اليهودية،بهدف العمل على تنفيذ هذا المشروع وقد كان الأساس في إنشاء ما يعرف ببرنامج بازل.نجح هرتزل في الترويج لفكرة إستعمار فلسطين وإقامة وطن لليهود هناك.وتبلور ذلك النجاح في هذا المؤتمر،وكان من أهم نتائجه إقامة المنظمة الصهيونية العالمية لتنفيذ البرنامج الصهيوني الذي ينص على أن هدف الصهيوني هو إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين يضمنه القانون العام.

ثيودور هرتزل خلال المؤتمر الصهيوني الأول(١٨٩٧م)

قرارات المؤتمر:أن هدف الصهيونية هو إقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين بالوسائل التالية:تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين تنظيم اليهود وربطهم بالحركة الصهيونية اتخاذ السبل والتدابير للحصول على تأييد دول العالم للهدف الصهيوني

(إعطاءه شرعية دولية)تشكيل المنظمةالصهيونية العالمية بقيادة ثيودور هرتزل،وتشكيل الجهاز التنفيذي الوكالة اليهودية لتنفيذ قرارات المؤتمر،ومهمتها جمع الأموال في صندوق قومي لشراء الأراضي وإرسال مهاجرين يهود لإقامة مستعمرات في فلسطين.برنامج مؤتمر بازل الأول عملت المنظمة الصهيونية العالمية بعدها بإصرار منذ صدور قرار تأسيسها في المؤتمر الصهيوني الأول عام ١٨٩٧م،والذي تضمن إقامة وطن لليهود،الأمر الذي تحقق على أرض فلسطين بعام ١٩٤٨م.

المنظمة الصهيونية العالمية

هي أحدى الحركات الصهيونية البارزة التي تأسست سنة ١٨٩٧م بهدف تشجيع الهجرة الصهيونية نحو فلسطين وهي كحركة دينية تهدف إلي تمكين العنصر اليهودي من تملك أرض فلسطين وقهر لجيرانها الأعداء،وتركيز لسلطة العالم الروحية والحضارية في صهيون.

الفرق بين الصهيونية والماسونية،الصهيونية قرينة الماسونية لكن الصهيونية يهودية بحتة في شكلها ومضمونها وتخدم إلى خدمة أهداف اليهود بطريقة مباشرة. أما الماسونية فهي يهودية مبطنة،تظهر شعارات إنسانية عامة.وهي حركة علمانية إلحادية سرية،تخدم اليهود بطرق غير مباشرة،وتهيئ الظروف لليهود.

ظهورالقوميات

يذكرون المؤرخون أن ظهور القومية في أوروبا كان في الفترة التي كان رجال الفكر والتحرر(كما يسمون أنفسهم)يبحثون عن بديل للعقيدة النصرانية والانفلات من قبضة رجال ذلك الدين وتسلط الكنيسة هناك،وكان ذلك في حدود القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين واشتد عودها في القرن التاسع عشر الميلادي،وقد أثنى دعاة القومية على الثورة الفرنسية التي كانت هي البداية الأولى لظهور القوميات حيث عرف بعدها أن الحكم يجب أن يكون للشعوب وليس لفئة من الناس هم الحكام وأن الحرية يجب أن تشمل جميع الأمة بالتساوي وشعار الجميع الإخاء وأصبح هذا المبدأ الثلاثي الحرية،المساواة،الإخاء هو مصدر إلهام الجماهير في زعم دعاة القومية حاول

العديد من الفلاسفة والمفكرين الأوروبيين دراسة مسألة التميز بين المجموعات البشرية وعناصر هذا التميز،وكيف يمكن تحديد أن مجموعة من هؤلاء يمثلون أمة خاصة بهم[١] وبرز هنا اتجاهان:الأول:يؤكد على الفعل الشعوري لقوة لدى المجموعة البشرية،وهذا الفعل حدده الألمان بمصطلح خاص هو(روح الشعب)الذي يمكن التعرف عليها من خلال العديد من المظاهر منها:اللغة،والعادات والتقاليد،والانتماء العرقي[٢]

الفيلسوف الإيطالي جوزيبي مازيني وطني وسياسي وماسوني!! لقب بـ(روح إيطاليا) ١٨٠٥-١٨٧٢م (Mazzini)

الفيلسوف الألماني يوهان غوتليب فيخته (Fichte) ١٧٦٢ - ١٨١٤م

الفيلسوف الألماني جوهان جوتفرايد هيردر(Herder)١٧٤٤-١٨٠٣م

الثاني:اعتبر الشعور والإحساس محركين أساسيين لتشكيل الأمة،ولذلك يقول:(مازيني ١٨٠٥-١٨٧٢م) القومي الإيطالي[٣]،إن الوطن هو قبل كل شيء،الإحساس بالوطن! وهذا ما استند عليه المفكر الفرنسي رينان(١٨٢٣-١٨٩٢م)في نظريته حول الأمة[٤]. استطاعت شخصية السلطان عبدالحميد الفذة أن تجمد الدعوة إلى القومية خاصة وأنه

---

(١) من هؤلاء(هيردر Herder الفيلسوف الألماني(١٧٤٤-١٨٠٣) مؤلف كتاب شهير تحت عنوان(فلسفة تاريخ البشرية-٤ أجزاء صدرت في الفترة ما بين ١٧٨٤و١٧٩١م).(٢) من الفلاسفة المساهمين في هذا الاتجاه الفيلسوف الألماني(فيخته-Fichte)١٧٦٢ -١٨١٤م الذي بنى فلسفته أصلا على فلسفة(كانت النقدية)ولكنه طورها إلى فلسفة مثالية ميتافيزيقية. ومن أهم مؤلفاته(خطابات إلى الأمة الألمانية ١٨٠٧- ١٨٠٨)وقد ترجم هذا الكتاب إلى العربية المترجم البارع د. سامي الجندي ونشرته دار الطليعة في بيروت عام ١٩٨١م. (٣) جوزيبي مازيني وطني إيطالي وفيلسوف وسياسي وماسوني!! إيطالي لقب بـ(روح إيطاليا) أسهمت جهوده وحراكه السياسي في قيام الدولة الإيطالية الحديثة واستقلالها عن القوى الخارجية!! (٤) في محاضرة له حول:ما هي الأمة؟ ألقيت في جامعة السوربون في باريس عام ١٨٨٧م قال (رينان): إن ما يشكل الأمة ليس التكلم باللغة نفسها أو الانتماء إلى الجماعة الإثنوغرافية،بل هو الأمور الجسام التي صنعت معا في الماضي والرغبة في صنع مثلها في المستقبل .نقلا عن:بيير رينوفان وجان باتيست دوروزيل!،مدخل في تاريخ العلاقات الدولية ترجمة:فايز كم نقش،منشورات عويدات بيروت ١٩٦٧،ص٢٤٢.

رفع شعار(يا مسلمي العالم اتحدوا).وقبل نهاية القرن التاسع عشرعقد مؤتمر بال١٨٩٧م الصهيوني المشار إليه سالفا،وقرروا إنشاء وطن لليهودفي فلسطين،وزارهرتزل السلطان عبدالحميد مرتين وعرض عليه مبلغ (١٥٠) مليون جنيه وإنشاء أسطول عثماني والدفاع عن سياسته في أوربا وأمريكا وسداد كثير من ديون الدولة العثمانية مقابل السماح لليهود بشراء بعض الاراضي في فلسطين.وكان جواب السلطان عبد الحميد قاطعا:(بأن قطع عضو من أعضائي أهون علي من أن تقطع فلسطين من الدولة العثمانية).فبدأت أجهزة البث تعمل ليل نهار ضد السلطان عبدالحميد،وقد أصبحت القاهرة وباريس أهم مراكز التآمر على السلطان،تحت غطاء القومية العربية،وقد كان روادها من نصارى الشام،تولوا في القاهرة توجيه الفكر في مصر كلها،والمركز الآخر في باريس. بالإضافة إلى أدعياء القومية الطورانية تحركهم أصابع من سلانيك وإيطاليا وأسبانيا.

بداية ظهور القومية العربية

نشأ دعاة القومية العربية متأثرين بذلك التيار في أوروبا فأصبحوا يلهثون للحاق بركبهم!! والواقع أن الذي أثار القومية العربية وكان لهم اليد الطولى في الدعوة إليها في بلاد المسلمين إنما هم النصارى!! لإدراكهم فائدة التفاف العرب المسلمين على القومية بدلاعن الدين الذي لا يتوافق مع دمج المسلم وغير المسلم في حظيرة واحدة،فجاء القوميون العرب من النصارى وغيرهم وأخذوا يكيلون المديح لهذه القومية وأن العرب في حاجة شديدة إلى قيامها إن أرادوا العزة والمنعة واحترام سائر الأمم لهم بزخرف من القول وظلت تستعر نارها وتشتد تدريجيا من معين الحقد على الدولة العثمانية.ظهرت بدايات الفكر القومي في أواخرالقرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين متمثلة في حركة سرية تألفت من أجلها الجمعيات والخلايا في عاصمة الخلافة العثمانية،ثم في حركة علنية في جمعيات أدبية تتخذ من دمشق وبيروت مقراً لها،ثم في حركة سياسية واضحة المعالم في المؤتمر العربي الأول الذي عقد في باريس سنة١٩١٢م.وفيما يلي إشارة إلى أهم الجمعيات ذات التوجه القومي حسب التسلسل التاريخي:الجمعية السورية:أسسها النصارى!،منهم:بطرس البستاني وناصيف اليازجي سنة ١٨٤٧م في دمشق. والجمعية

السورية في بيروت:أسسها نصارى!منهم:سليم البستاني ومنيف خوري سنة١٨٦٨م. والجمعية العربية السرية:ظهرت سنة١٨٧٥م،ولها فروع في دمشق وطرابلس وصيدا. وجمعية حقوق الملة العربية!:ظهرت سنة١٨٨١م ولها فروع كذلك،وهي تهدف إلى وحدة المسلمين والنصارى!،على حد زعمها.وجمعية رابطة الوطن العربي:أسسها نجيب عازوري سنة١٩٠٤م بباريس،وألف كتاب يقظة العرب!.وجمعية الوطن العربي:أسسها خيرالله خيرالله سنة ١٩٠٥م بباريس،وفي هذه السنة نشر أول كتاب قومي بعنوان الحركة الوطنية العربية.والجمعية القحطانية:ظهرت سنة١٩٠٩م،وهي جمعية سرية من مؤسسيها خليل حمادة المصري. هذا وقدظلت الدعوة إلى القومية العربية محصورة في نطاق الأقليات الدينية غير المسلمة،وفي عدد محدود من أبناء المسلمين الذين تأثروا بفكرتها ولم تصبح تياراً شعبيًا عامًا إلا حين تبنى الدعوة إليها الرئيس المصري الراحل جمال عبدالناصر حين سخرلها أجهزة إعلامه وإمكانات دولته.ويمكن أن يقال إنها الان تعيش فترة انحسار أوجمود على الأقل.

القومية الطورانية

أصبحت الدعوة في تركيا إلى القومية الطورانية،والذين دعوا إلى القومية الطورانية[1] التركية كانوا من أصولهم أعجمية ونصارى.كان يراد للحركة الطورانية أن تكون مصدر حياة وقوة للأمبراطورية العثمانية قبيل الحرب العالمية الأولى بإعتبار القومية مصدر قوة،ولكن ردة الفعل كان في غير صالح الإتحاديين الذين بدأت تنفض من حولهم العناصر غير التركية لا سيما العربية والتي آزرتهم في قيام حركة تركيا الفتاة وتأسيس حزب الإتحاد والترقي فأنشئت جمعيات وأندية تحمل أسماء قوميات عثمانية غير تركية مثل المنتدى العربي وحزب اللامركزية الإدارية العثماني وحزب العهد والجمعية الإصلاحية البيروتية وجمعية البصرة الإصلاحية

(١)الطورانية إلى هضبة طوران الواقعة فى آسيا الوسطى وهي الوطن التركي القديم،حيث كانت تعيش الأقوام التركية قبل نزوحها غربا إلى خراسان وماوراء النهر،وهي حركة سياسية تركية نشأت في أواخر القرن التاسع عشر واستهدفت توحيد جميع أبناء العرق التركي لغويًا وثقافيًا وسياسيًا،بما في ذلك ضم الأراضي التي يقطنها الأتراك خارج نطاق السلطنة العثمانية(ثم تركيا)، بدأت الحركة بين الأوساط التركية المثقفة في الامبراطوريتين العثمانية والروسية متأثرة بإنتشار الفكرة القومية في عموم أوروبا .

الجامعة الأسلامية

مشروع الجامعة الإسلامية أراد به السلطان عبدالحميد ربط أجزاء الأمة مع بعضها البعض،ومقاومته للمشروع الصهيوني والماسونية. لم تظهر فكرة الجامعة الاسلامية،في معترك السياسة الدولية إلا بعد ارتقاء السلطان عبدالحميد عرش الدولة العثمانية عام ١٨٧٦م. فبعد أن التقط السلطان عبد الحميد أنفاسه،وجرد المتأثرين بالفكر الأوروبي من سلطاتهم،وتولى هو قيادة البلاد،قيادة حازمة أهتم السلطان عبدالحميد بفكرة الجامعة الاسلامية.وقد تكلم في مذكراته عن ضرورة العمل على تدعيم أواصر الأخوة الاسلامية بين كل مسلمي العالم في الصين والهند وأواسط أفريقيا وغيرها،وحتى إيران. فهو يعبر عن ثقته في وحدة العالم الاسلامي بقوله:(يجب تقوية روابطنا ببقية المسلمين في كل مكان،يجب أن نقترب من بعضنا البعض اكثر واكثر،فلا أمل في المستقبل إلابهذه الوحدة،ووقتها لم يحن بعد لكنه سيأتي،سيأتي اليوم الذي يتحد فيه كل المؤمنين وينهضون فيه نهضة واحدة ويقومون قومة رجل واحد وفيه يحطمون رقبة الكفار).

وكانت فكرة الجامعة الاسلامية في نظر السلطان عبد الحميد تنطوي على عدة أهداف منها:مواجهة أعداء الاسلام المثقفين بالثقافة الغربية،والذين توغلوا في المراكز الإدارية والسياسية الحساسة،في أجهزة الدول الاسلامية عمومًا،وفي أجهزة الدولة العثمانية خصوصًا،عند حدهم،عندما يجدون أن هناك سلطانًا قويًا يقف أمامهم.

ومحاولة إيقاف الدول الاستعمارية الأوروبية وروسيا،عندحدها عندما تجد أن المسلمين قد تكتلوا في صف واحد،وقد فطنوا إلى أطماعهم الاستعمارية ووقفوا ضدها بالوحدة الإسلامية.

وإثبات أن المسلمين يمكن أن يكونوا قوة سياسية عالمية،يحسب له حسابها في مواجهة الغزو الثقافي والفكري والعقدي الروسي- الأوروبي النصراني.

استعادة الدولة العثمانية بوصفها دولة الخلافة قوتها وبذلك يمكن إعادة تقويتها،وإلى هذا أشار المؤرخ البريطاني(أرنولد توينبي)في قوله:(إن السلطان عبدالحميد،كان يهدف من سياسته الإسلامية،تجميع مسلمي العالم تحت راية واحدة،وهذا لا يعني إلا هجمة

مضادة،يقوم بها المسلمون ضد هجمة العالم الغربي التي استهدفت عالم المسلمين.قلق)
ومن أهم معالم الجامعة الإسلامية التي تجلت في عهد السلطان عبدالحميد: تطوير التعليم والاستعانة بالعلماء المسلمين،ولذلك استخدم السلطان عبدالحميد،كل الإمكانيات المتاحة في ذلك الوقت،من اتخاذ الدعاة من مختلف جنسيات العالم الاسلامي،من العلماء والمبرزين،في مجالات السياسة،والدعاة الذين يمكن أن يذهبوا إلى أرجاء العالم الاسلامي المختلفة،للالتقاء بالشعوب الاسلامية وفهم ماعندهم وإبلاغهم بآراء وتوجيهات السلطان الخليفة ونشر العلوم الاسلامية،ومراكز الدراسات الإسلامية،في الداخل والخارج،وطبع الكتب الاسلامية الأساسية.

الاهتمام العثماني بالعرب

حاول السلطان عبدالحميد اتخاذ اللغة العربية لأول مرة في تاريخ الدولة العثمانية،لغة للدولة أما يسمى بالتعبير المعاصر تعريب الدولة العثمانية،حيث كان السلطان عبدالحميد يرى منذ أن تولى الحكم- ضرورة اتخاذ اللغة العربية لغة رسمية للدولة العثمانية. وفي هذا يقول:(اللغة العربية لغة جميلة. ليتنا كنا اتخذناها لغة رسمية للدولة من قبل،لقداقترحت على(خير الدين باشا التونسي عندما كان صدراً أعظم أن تكون اللغة العربية هي اللغة الرسمية،لكن سعيد باشا كبير أمناء القصر اعترض على اقتراحي هذا. وقال:(إذا عربنا الدولة فلن يبقى للعنصر التركي شيء بعد ذلك)،وربما من الأخطاء التي وقعت فيها الدولة العثمانية عدم تعريب الدولة وشعبها بلغة القرآن الكريم والشرع الحكيم،وحاول السلطان استمالة زعماء القبائل العربية،وإنشاء مدرسة في عاصمة الخلافة،لتعليم أولاد رؤساء العشائر والقبائل،وتدريبهم على الإدارة.

أنشأ السلطان عبدالحميد في إستانبول،باعتبارها مقر الخلافة ومركز السلطنة(مدرسة العشائر العربية) من أجل تعليم واعداد أولاد العشائر العربية،من الولايات العربية كـ(سورية وبغداد،وطرابلس الغرب،واليمن،والحجاز،وكانت مدة الدراسة في مدرسة العشائر العربية في إستانبول خمس سنوات،وهي داخلية،تتكفل الدولة العثمانية بكل

مصاريف الطلاب،ولكل طالب إجازة صلة الرحم وهي إجازة مرة كل سنتين،وسفر الطالب فيها على نفقة الدولة،(وتفصيل الحديث عنها لاحقا).

الإنجازات التنموية الاجتماعية والاقتصادية

اهتم بالمرأة وجعل للفتيات داراً للمعلمات،وهاجم تسرب أخلاق الغرب،إلى بعض النساء العثمانيات.كما استفاد من الصحافة الاسلامية في الدعاية للجامعة الاسلامية واتخاذ بعض الصحف وسيلة للدعاية لهذه الجامعة،والعمل على تطوير النهضة العلمية والتقنية في الدولة العثمانية،وتحديث الدولة فيما هو ضروري.

ومن أعماله التنموية الكبرى لتحقيق فكرة الجامعة الإسلامية هو تشييده خط سكة حديد الحجاز،إذ عمل السلطان عبدالحميد على كسب الشعوب الاسلامية عن طريق الاهتمام بكل مؤسساتها الدينية والعلمية والتبرع لها بالأموال والمنح ورصد المبالغ الطائلة لإصلاح الحرمين وترميم المساجد وزخرفتها وأخذ السلطان يستميل إليه مسلمين العرب بكل الوسائل فكون له من العرب حرسًا خاصًا وعين بعض الموالين له منهم في وظائف كبرى منهم(عزت باشا العابد)من أهل الشام الذي نجح في أن ينال اكبرحظوة عند السلطان عبدالحميد وأصبح مستشاره في الشؤون العربية، وقد لعب دوراً هامًا في مشروع سكة حديد الحجاز الممتدة من دمشق إلى المدينة المنورة،وهو بهذا المشروع الذي اعتبره السلطان عبدالحميد وسيلة من الوسائل التي أدت لأعلاء شأن الخلافة ونشر فكرة الجامعة الاسلامية.

كانت سياسة عبدالحميد الاسلامية محضة،فأراد أن يجمع قلوب المسلمين حوله باعتباره خليفة المسلمين جميعًا فكان مد خط السكة الحديدي بين الشام والحجاز من الوسائل الجميلة في تحقيق هدفه المنشود.

إنشاء الخطوط الحديدية

أبدى السلطان عبد الحميد اهتماما بالغًا بإنشاء الخطوط الحديدية في مختلف أنحاء الدولة العثمانية مستهدفا من ورائها تحقيق ثلاثة أغراض هي:١- ربط أجزاء الدولة المتباعدة مما ساعد على نجاح فكرة الوحدة العثمانية والجامعة الإسلامية والسيطرة الكاملة على

الولايات التي تتطلب تقوية قبضة الدولة عليها.
٢ـ إجبار تلك الولايات على الاندماج في الدولةوالخضوع للقوانين العسكرية التي تنص على وجوب الاشتراك في الدفاع على الخلافة بتقديم المال والرجال.
٣ـ تسهيل مهمة الدفاع عن الدولة في أية جبهة من الجبهات التي تتعرض للعدوان لأن مد الخطوط الحديدية ساعد على سرعة توزيع القوات العثمانية وايصالها إلى الجبهات[١].
وكانت سكة حديد الحجاز من أهم الخطوط الحديدية التي أنشئت في عهد السلطان

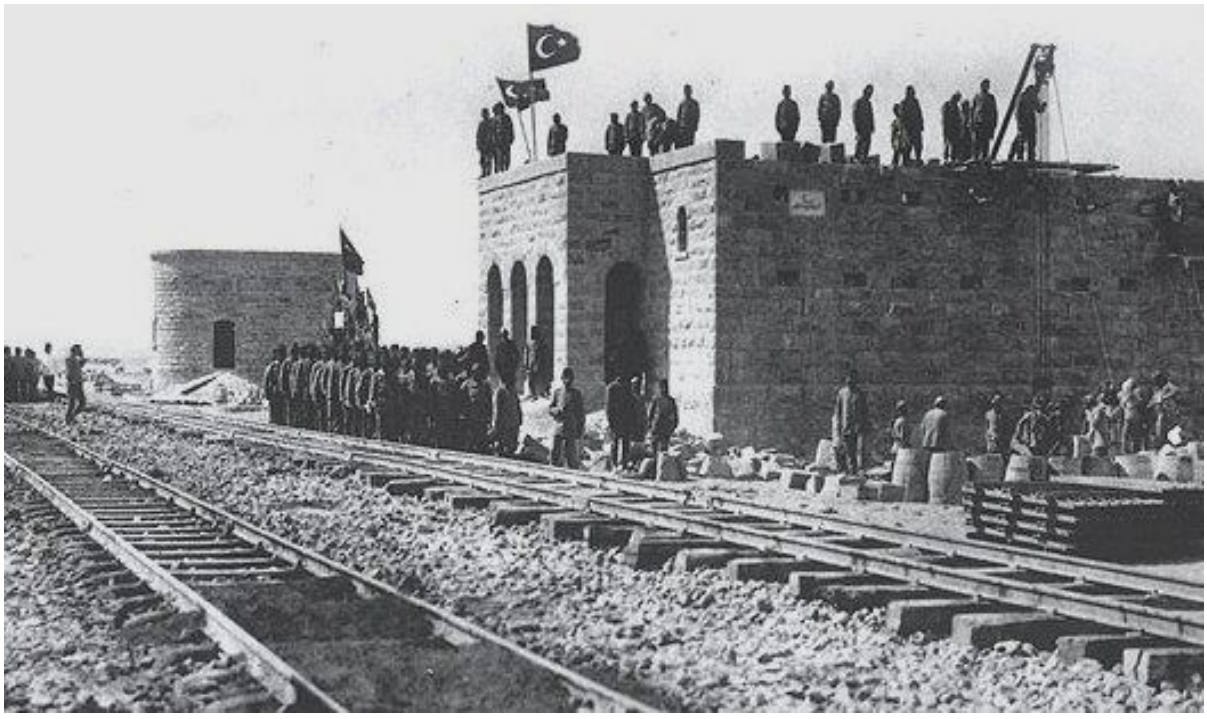

عبدالحميدالثاني،ففي سنة١٩٠٠م بدأ بتشييد خط حديدي من دمشق إلى المدينة للاستعاضة به عن طريق القوافل الذي كان يستغرق من المسافرين حوالي أربعين يوما وطريق البحر الذي كان يستغرق حوالي اثني عشر يوما من ساحل الشام إلى الحجاز وكان يستغرق من المسافرين أربعة أو خمسة أيام على الاكثر.
ولم يكن الغرض من إنشاء هذا الخط مجرد خدمة حجاج بيت الله الحرام وتسهيل وصولهم إلى مكة والمدينة،وانما كان السلطان عبدالحميد يرمي من ورائه أيضا إلى أهداف سياسية وعسكرية،فمن الناحية السياسية خلق المشروع في أنحاء العالم الإسلامي حماسة دينية كبيرة إذ نشر السلطان على المسلمين في كافة أنحاء الأرض بيانا

يناشدهم فيه المساهمة بالتبرع لإنشاء هذا الخط[٢]،وقد افتتح السلطان عبدالحميد قائمة التبرعات بمبلغ(خمسين ألف ذهبا عثمانيا من جيبه الخاص) وتقرر دفع(مائة ألف)ذهب عثماني من صندوق المنافع،وأسست الجمعيات الخيرية وتسابق المسلمون من كل جهة للإعانة على إنشائها بالأنفس والأموال[٣]

وأسهمت في هذه الحملة:جريدة(المنار)وجريدة (الرائد المصري)وشكلت لجان تبرع للمشروع في كل من القاهرة والإسكندرية وغيرهما من مدن مصر.

وكان مسلمو الهند أكثر مسلمي العالم حماسا وعاطفة وتبرعا للمشروع. وقد تبرع أمير حيدر آباد بالهند بإنشاء محطة المدينة المنورة في المشروع كما تبرع شاه إيران بمبلغ (٥٠,٠٠٠) ليرة عثمانية.

مقاومة المخططات الغربية في أراضي السلطنة العثمانية

شرعت بريطانيا منذ الربع الأول من القرن التاسع عشر في تحريض الاكراد ضد الدولة العثمانية،بهدف إيجاد عداء عثماني كردي من ناحية،ودفع الاكراد للانفصال بدولة تقتطع

(١)صحوة الرجل المريض،د. موقف بني المرجة،ص١١٣.

(٢)صحوة الرجل المريض،ص١١٣.

(٣) السلطان عبدالحميد الثاني،ص٢٢٢.

من الدولة العثمانية من ناحية أخرى.وعندما قامت شركة الهند البريطانية،زاد اهتمام الانكليز بالعراق،وقامت على العمل لإيجاد حركة قومية بين الاكراد،وتجول مندوبون بريطانيون بين عشائر الاكراد في العراق في محاولة لتوحيد العشائر الكردية ضد الدولة العثمانية،وكانت المخابرات العثمانية تتابع الأمور بدقة متناهية،ووضع السلطان عبدالحميد خطة مضادة للعمل التدميري الإنكليزي وهي:(حماية المواطنين الاكراد من هجمات الأرمن الدموية ضدهم.

- أرسل إلى عشائر الاكراد وفوداً من علماء المسلمين للنصح والإرشاد والدعوة إلى الاجتماع تحت دعوة الجامعة الاسلامية،وأدت هذه الوفود دورها في إيقاظ الاكراد تجاه الاطماع الغربية.

- اتخذ السلطان عبد الحميد إجراءات يضمن بها ارتباط أمراء الاكراد به وبالدولة.

- أسس الوحدات العسكرية الحميدية في شرق الأناضول أغلبها من الاكراد،للوقوف أمام الاعتداءات الأرمنية.

- كان موقف الدولة قويًا ضد أطماع الأرمن في إقامة دولة تقطع من أراضيها،وبذلك شعر الاكراد المقيمون في نفس المنطقة بالأمان.

- عملت الدولة على كشف مخططات الانكليز الهادفة إلى تفتيت الدولة العثمانية تحت مسمى حرية القوميات في تأسيس كل قومية دولة مختصة بها.

نتيجة ذلك التف عدد كبير من العلماء ودعاة الأمة الاسلامية حول فكرة الجامعة الاسلامية من أمثال جمال الدين الأفغاني،ومصطفى كامل من مصر،ورشيد رضا من سورية،وعبدالرشيد إبراهيم من سيبيريا،بالإضافة إلى شيوخ الحركة السنوسية في ليبياوغيرها،وقاوم السلطان عبدالحميد مخططات الإيطاليين في ليبيا،حيث كانت إيطاليا تحلم بضم شمال أفريقيا،لأنها تراه ميراث إيطالي هكذا صرح رئيس وزرائها(ما تريني). لكن فرنسا احتلت تونس وانكلترا احتلت مصر،ولم يبق أمام إيطاليا إلا ليبيا. كان

انظر:علي محمد صلابي،الدوله العثمانية عوامل النهوض واسباب السقوط،ومقال له أيضًا.محمدحرب مذكرات السلطان عبدالحميدالثاني أحمد الشوابكة،حركة الجامعة الاسلامية.

السلطان عبدالحميد متيقظًا لتلك الأطماع الإيطالية،فقام باتخاذ التدابير اللازمة أمام الأطماع الإيطالية ولما شعر أنه سيواجه اعتداء إيطاليا مسلحا على ليبيا،قام بإمداد القوات العثمانية في ليبيا بـ(١٥,٠٠٠)جندي لتقويتها وظل يقظا حساسا تجاه التحركات الايطالية ويتابعها شخصيا وبدقة،ويطالع كل مايتعلق بالشؤون الليبية بنفسه بواسطة سفير الدولة العثمانية في روما،ووالي طرابلس مما جعل الايطاليين يضطرون إلى تأجيل احتلال ليبيا وتم لهم ذلك عام ١٩١١م،بعد خلع السلطان عبدالحميد الثاني.

مدرسة العشائر في إسطنبول

أصدر السلطان عبدالحميد الثاني فرمانا يوم٢١ حزيران/يونيو١٨٩٢م أمر فيه بافتتاح مدرسة العشائر في إسطنبول،وتم افتتاحها في تشرين الأول/ اكتوبر من نفس العام.

كان الهدف من إنشائها تقديم خدمة التعليم العثماني لأبناء كبار وجهاء العشائر.والهدف الأساسي هو تمكين أبناء القبائل من المشاركة في الازدهار المنبثق من المعرفة والثقافة ومضاعفة ميلهم نحو الخلافة الإسلامية والسلطنة العثمانية.

مبنى مدرسة العشائر في إسطنبول

يعود الطلبة بعد إنهاء دراستهم،إلى قبائلهم ليعملوا معلمين في المدارس التي اعتزم السلطان فتحها في بلدانهم. وتولى السلطان عبدالحميد شخصيا الاهتمام بالمدرسة،وكان هو راعيها ومديرها الفخري.كانت بعض القبائل تشكل خطرا على الدولة العثمانية بسبب

الغارات التي كانت تقوم بها على المزارعين وسكان البلدات والحجاج،مما أدى إلى تقلص الزراعة وإعاقة التجارة.

التجهيز للمدرسة:أوكل الصدر الأعظم في ٦ تموز/يوليو إلى وزارة المعارف التحضيرات اللازمة لفتح المدرسة،فأرسلت توجيهات للولايات العثمانية في كل من سوريا والعراق وليبيا،والجزيرة العربية والأناضول لاختيار الطلاب.واختير قصر أسما سلطان في منطقة

طلاب مدرسة العشائر في إسطنبول

كبتاش بإسطنبول ليكون مقر المدرسة،وتم تأمين خمس بيوت مجاورة لها لتغدو سكنا للطلبة. وجهزت كل متطلبات المدرسة من المكان والأثاث والمعلمين واللوائح والخطط والمناهج في فترة وجيزة لم تتجاوز ثلاثة أشهر.كانت عشيروت بمثابة مدرسة داخلية خاصة لتعليم أبناء زعماء القبائل العربية،واتسعت دائرة القبول في المرحلة الثانية لتشمل الاكراد والعرب ثم الألبان.

المنهج في مدرسة العشائر

درس فيها الطلبة علوم الدين والعلوم الوضعية،بجانب التدريب العسكري وحصلوا بعد ذلك على رتب عالية.تراوحت مدة الدراسة فيها من خمس سنوات للأولاد ما بين

أنظر:السلطان عبدالحميدالثاني،والدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط لدكتورعلي محمد الصلابي.

١٢-١٦ سنة،وكان يمنح كل طالب راتبا شهريا قدره ٣٠ قرشا،ولكل طالب إجازة (صلة الرحم) مرة كل سنتين،يسافر فيها الطالب على نفقة المدرسة
وبعد إنهاء الطلبة دراستهم فيها،يمكنهم أن يدخلوا المدرسة الملكية(وهي مدرسة مدنية) ويحصلوا بعدها على رتبة قائم مقام،ثم يعودوا إلى بلدانهم.ومن ضمن المناهج اللغة الفارسية،واللغة التركية،واللغة الفرنسية.

طلاب مدرسة العشائر في إسطنبول

منهج السنة الأولى:القرآن الكريم،الأبجدية،العلوم الدينية، القراءة التركية،إملاء وتدريب عسكري. منهج السنة الثانية:القرآن الكريم،التجويد،العلوم الدينية،الإملاء،الحساب القراءة التركية تحسين الخط وتدريب عسكري.منهج السنةالثالثة:القرآن الكريم،التجويد العلوم الدينية،الإملاء،حسن الخط،الحساب الجغرافيا،الفرنسية والتدريب.منهج السنة الرابعة:القرآن الكريم،التجويد،العلوم الدينية،الصرف العربي،اللغة الفارسية،الكتابة والنحو التركي،الجغرافيا،الحساب،حسن الخط الفرنساوي والتدريب.وأما منهج السنة الخامسة:هوعبارة عن القرآن الكريم،التجويد،العلوم الدينية،النحو العربي،اللغة الفارسية التاريخ العثماني،القواعد العثمانية،الكتابة والقراءة التركية،المكالمة التركية،الجغرافيا الحساب

الهندسة،حسن الخط،المعلومات المتنوعة،حفظ الصحة،أصول إمساك الدفاتر اللغة الفرنسية،حسن الخط الفرنساوي،والرسم.كما أنشأ السلطان عبدالحميد معهد تدريب الوعاظ والمرشدين أقيم لإعدادالدعاة للدعوة الإسلامية،وللجامعةالإسلامية ثم يتخرجون فينطلقون إلى مختلف أرجاء العالم الإسلامي يدعون للإسلام،ويدعون للخلافة[1].

قصر يلدز[2] مقر حكم السلطان عبدالحميدالثاني

هو قصر عثماني،يقع في أعلى تل في حديقة يلدز في مدينة إسطنبول بني في نهاية القرن التاسع عشر ميلادي،وبداية القرن العشرين في عهد السلطان سليم الثالث،كهدية إلى والدته السلطانة مهريشة،وكان مقراً للسلطان العثماني عبدالحميد الثاني والحكومة العثمانية حتى عام ألف وثمانمائة وثلاثة وخمسون للميلاد عوضًا عن قصر دولمة باهجة ،وهو رابع القصور العثمانية في إسطنبول والتي بنيت بعد الفتح الإسلامي.

قصر يلدز من الخارج

تاريخ قصر يلدز

تم بناؤه في حديقة يلدز،التي تمتاز بجمالية المنظر،حيث تقدر مساحتها بنحو خمسمائة الف متر مربع،وهي توجد على تلة مرتفعة محاطة بالأشجار العالية بين منطقتي أورتاكوي

(١) السلطان عبدالحميد،لدكتور علي محمد الصلابي.

(٢) يلدز تعني النجمة أي قصر النجمة،وسمي بهذا الاسم نسبة إلى أنه أول قصر تم بناؤه في تلك الحديقة.

وبيشكتاش في إسطنبول،وكانت تسمى في القدم باسم غابة قازنجي أوغلو،وتحتوي هذه الغابة على العديد من الأشجار المتنوعة والجميلة التي تم إحضارها من مختلف أنحاء العالم بالإضافة إلى أنواع متعددة من الزهور والورود الجميلة.

مراحل بناء وتطوير قصر يلدز:في عهد سليم الثالث تم بناء أول مبنى في هذه الحديقة وأطلق عليه اسم كشك يلدز[٢]،وقد صمم كذلك حفاظًا على خصوصية القصر،كما كان يتكون من ثلاثة مباني ملتصقة ببعضها البعض.

قصر يلدز من الداخل

وفي خلافة السلطان عبدالحميد الثاني استمر الوضع على ماهو عليه،الذي قام بتوسعة الكشك إلى قصر في عام ألف وثمانمائة وتسعون للميلاد،وأمر ببناء العديد من المباني والصالات والأجنحة الإضافية التي تليق بحاكم القصر وزواره،واتخذ من القصر مقراً للحكم له لاكثر من ثلاثين عامًا،ومنذ ذلك الوقت أطلق اسم قصر يلدز على هذا القصر وبقي ملتصقًا فيه حتى يومنا الحالي.وفي عام ألف وثمانمائة وثمانية وتسعون للميلاد تم توسعة القصر مرة أخرى،عندما تم استقبال إمبراطور ألمانيا القيصر ويليام الثاني.

---

(٢)كشك كلمة فارسية أصلها(كوجك)ومعناها شبه شبه رواق بارز عم مساواة بقية البيت،عربها بعضهم بالجوسق وهذه معربة عن(جوسقة)الفارسية ومعناها قصر-أنظر:معجم عطية في العامي والدخيل،لرشيد عطية.وعند العثمانيين تعني المبنى(القصر) المحاط والمسيج بالجدران العالية.

خلع السلطان عبدالحميد

أن مخطط خلع السلطان اشتركت فيه دول وحركات بالظاهر والباطن،واستخدمت فيه وسائل وأساليب من كل الانواع السرية منها والعلنية،في مقدمة تلك الدول بريطانيا،والسلطان عبدالحميدكان يدرك مدى خطورتهم ومكائدهم،وكان لايثق بسفرائهم لذلك كان يرصد تحركاتهم،وكان يشك بكل من يتعامل معهم وركز انتباهه على مؤيدي الإنجليز،وحذره من مؤمرات اليهود واتباعهم في مراكز الجيش والحكومة،حيث استطاع يهود سالونيك واتباعهم بعد ذلك من خلعه،وتشويه سمعته وادعو أنه كان ظالما باطشا وشيعوا أنه أقترف المجازر ضد الأرمن،وقبل ذلك اتهموه بأنه يقف خلف ما سمي بحادثة٣١مارت التي قتل فيها بعض جنود الاتحاد،وزعموا أيضًا بأنه هو من دبر حرق المصاحف كذريعة لخلعه من الخلافة،وربما أوضح دليل على برءة السلطان من تلك

الوفد المكلف بإبلاغ قرار خلع السلطان عبدالحميد الثاني،في نيسان ١٩٠٩م

الحادثة،واستغلال العاطفة الدينة لدى الناس لكي يتخلوا عن السلطان وينظمو إليهم في عملية خلعة،وقد نجحوا في تسويقهم فريتهم تلك،حيث جلبوا أمين الفتوى نوري أفندي،وضغطوا عليه لكي يصدر فتوى شرعية بخلع السلطان،وقد تم ذلك يوم الثلاثاء ٢٧من شهر نيسان عام ١٩٠٩م،حيث ارغامه بالتنازل عن العرش لصالح

انظر:صناع الإنجليز،لسعود السبعاني.

أخيه محمد رشاد،حضر الوفد المكلف بإبلاغ قرار خلع السلطان إلى قصر يلدز،وقد تكون من أربعة نواب،وهم:الفريق عارف حكمت باشا(كان عضواً في مجلس الأعيان ويأورا سابقا للسلطان)،وآرام أفندي(وهو أرمني وكان عضوا في المجلس المبعوثان) واللواء أسعد باشا(نائب- الدرج- في مجلس المبعوثان)،وكان على رأسهم«عمانويل قره صو»،وهو يهودي من سلانيك!،إسباني الأصل ونائب عن سلانيك كان يحمل الجنسية العثمانية والجنسية الإيطالية في الوقت نفسه ومن زعماء الجمعية الماسونية في سلانيك والمحفل الماسوني الإيطالي.

محمود شوكت باشا(قائد الفيلق الثالث)ومحاصرته لقصر يلدز

عند التدقيق في تفاصيل خلع السلطان عبدالحميد وبالذات عندما حانت ساعة الصفر والتنفيذ تتكشف لنا دقائق عجيبة بان المنفذ العسكري للعملية هو محمود شوكت باشا[1] الذي تولى بنفسه تنفيذ الخطة،عندما كان يشغل في حينها منصب قائد الجيش العثماني الثالث ومن خلفه جمعية الاتحادوالترقي،بعدما حاصروا قصر يلدز في إسطنبول مقر إقامة السلطان ومن ثم عزله عن العرش ونفيه.

(١) محمود شوكت(العراقي الاصل)،هو محمود شوكت بن سليمان فائق بن الحاج طالب كهية،جده طالب كهية كان معاونا لوالي بغداد داوود باشا،لحقه لقب كهية في العهد العثماني وهو لقب وظيفة يعني معاون أو نائب الوالي،عين المذكور لهذا المنصب سنة ١٢٣٨هـ الى سنة ١٢٣٩هـ،أما والده سليمان فائق فهو مؤرخ عراقي معروف،شغل منصب كاتب ديوان والي بغداد سنة١٣٠٩ هـ/١٨٩١م وهو منصب رفيع في ذلك العهد،وله مؤلفات معروفة منها تاريخ المماليك ومرآة الزوراء ورسائل المنتفق،كان أديبا وكاتبا ومؤرخا توفي سنة ١٣١٤هـ/١٨٩٦م،وترك من الاولاد :- محمود شوكت وحكمت سليمان(الذي صار رئيسا لوزراء العراق في العهد الملكي)،ومراد وخالد إلا أن ناجي شوكت رئيس وزراء العراق في العهد الملكي ذكر في مذكراته وهو يتحدث عن والدته التي هي من هذه العائلة يقول:- أما والدتي فهي فاطمة بنت راغب بك اكبر أنجال سليمان فائق بك بن الحاج طالب كهية.بما يفهم أن لهم أخا أخر اسمه راغب .أما عن أصولهم فان المؤرخ التركي أورخان محمد علي يقول:- أن محمود شوكت باشا ١٨٥٦م- ١٩١٣م ولدفي بغداد ومات في إسطنبول قائد تركي ورجل دولة عربي الاصل،بينما تفرد توفيق السويدي رئيس الوزراء العراقي في العهد الملكي في كتابه وجوه عراقية بذكر لقب هذه العائلة على أنهم من بيت(المسلماني) وذلك بقوله:- سليمان فائق بن الحاج طالب كهية المسلماني،وبالعودة إلى محمود شوكت باشا فهو من مواليد بغداد محلة الحيدر خانة سنة ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م درس مقدمات العلوم ببغداد وذهب الى إسطنبول سنة ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م وتخرج من المدرسة الحربية ١٢٩٨هـ ثم صار رئيس ركن وعين في الاركان الحربية العامة وأرسل الى كريد ومصر الى سنة ١٢٩٩هـ/١٨٨١م ثم عين مدرسا في كلية الاركان وفي سنة١٣٠٠هـ /١٨٨٢م نال رتبة رئيس أول وبعد سنتين صار مقدما وسافر إلى المانيا وفرنسا لشراء الاسلحة،وفي سنة١٣١٥هـ نال رتبة زعيم وصار رئيسا في دائرة المدفعية وبعد سنتين حصل على رتبة فريق وذهب إلى الحجاز لمدخط برق بين الحرمين وفي سنة١٣٢١هـ رفع الى رتبة فريق أول وعين واليا لولاية(قوصوة)وبقي فيها إلى أعلان الدستور في الدولة العثمانية ثم عين قائدا للفيلق الثالث،وبعد خلع السلطان عبدالحميد صار وزيرا للحربية وحصل على الصدارة العظمى في ١٧ صفر ١٣٣١هـ واستمر فيها إلى يوم مقتله.صبيحة يوم١٩١٣/٦/١١م.

نفي السلطان عبدالحميد إلى سالونيك

نفي السلطان عبدالحميد الثاني وعائلته الى قصرآلاديني في سالونيك في١٩٠٩/٤/٢٧.

قضى السلطان في قصر آلاديني(علاء الدين) ثلاث أعوام من الإقامة الجبرية.تقول إبنته عائشة:(دخلنا جميعا من باب القصر الكبير،وكان والدي في المقدمة،فوجدنا أنفسنا في قاعة كبيرة،ثم أنغلقت الأبواب،في تلك اللحظة فهمنا إننا قد إنفصلنا عن الدنيا ودخلنا عالما جديدا،شعرنا بالحزن ولم يكن أحد بالقصر سوانا،كنا مضابين بالدهشة ونحن وسط قاعة فارغة ننظر لبعضنا ونتسائل ماذا سنفعل الآن وكيف سنعيش هنا،لقد إختار أعداء السلطان هذا القصر لأنه معد ليعزل ويقطع إتصال السلطان عن العالم الخارجي،فقد تم منع مقابلته لأي شخص ووضعوه تحت المراقبة العسكرية ومنعت عنه حتى الصحف اليومية،وكان طبيبه هو الشخص الوحيد الذي يدخل ويخرج من القصر كان الهدف من هذا هو الحفاظ على صحته فقط في حياته المتبقية[1]).وفي عام١٩١٢م نقل إلى قصر بكلربكي،وأثناء وجوده فيه قامت الحرب العالمية الأولى قضى السلطان عبدالحميد بقية أيامه في هذا القصر،أي ما يقارب خمسة أعوام وثلاثة أشهر،وخلال وجوده بكلربكي دون السلطان مذكراته ورسائله.

وعندما ضقيت جيوش الحلفاء الخناق على الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى وبدأت بوارجها الحربية تدك جناق قلعةوتحاول فتح الطريق البري المؤدي إلى إسطنبول استبدالهلع بنفوس زعماء الأتحاديين إلى درجة أنهم فكرو بنقل العاصمة إلى أسكي شهر في وسط الأنضول وأرسل السلطان رشاد وفداً إلى أخيه عبدالحميد ليقول له هناك احتمال نقل مركز الدولة إلى أسكي شهر حتى إن الحكومة بدأت فعلا بأتخاذ التدابير اللازمة لهذا الانتقال وان أخاك السلطان رشاد الذي يضع نصب عينه احتمال سقوط العاصمة في أيدي الأعداء وتجنبا لوقوعك في أيديهم فإنه يستفسر منك عن المدينة التي تختارها في الأنضول لإقامتك).أجاب السلطان السابق الوفد:(لن أتحرك من مكاني هذا قيد أنملة،إن جدي محمد الفاتح عندما فتح إسطنبول فإن إمبرطور بيزنطة لم يفكر في الهرب،وباعتباري سلطانا من نسل الفاتح أفلا اكون مثل إمبرطور بيزنطة على الأقل

إن مكانتي هو في مدينة إسطنبول التي فتحها جدي وإذا توفيت فسأرقد فيها أيضا،هذا الموقف الحازم جعل الاتحاديين يعيدون النظر في موقفهم ويقررون البقاء في والدفاع عن إسطنبول[٢].

كلمة إنصاف في حق السلطان عبدالحميد

يصف المؤرخ نيكولاس دومانيس عصر السلطان عبدالحميد بقوله: إن خسارة أراض بلقانيةواسعة لصالح الانفصاليين المسيحيين في بداية عهده(١٨٧٨)أدت إلى أن تفسح القومية العثمانية مكانها إلى فكرة الجامعة الإسلامية،فقد ركز النظام الجديد اهتمامه على رعاياه المسلمين مثل الأتراك والاكراد والعرب والتتار والشركس والألبان بصفتهم أساسا لدولة ناهضة،وقد استمر تحديث هذه الدولة وتركيز السلطة فيها وتمكن السلطان بحلول نهاية عهده من إحكام السيطرة على الموارد البشرية والمادية اكثر من أي من أسلافه،وأقيمت مرافق الدولة المختلفة على أسس رشيدة وعقلانية بشكل ملحوظ في كل من الجيش والإدارات المحليةوالتعليم العام والاتصالات مثل السفن البخارية والطرق وسكك الحديد وشبكة البرق الكهربائي(التلغراف)بالإضافة إلى القصر السلطاني نفسه. وبدأ المجتمع العثماني واقتصاده بإظهار مميزات المجتمع الحديث،فبحلول سنة١٩٠٠م طغت السكك الحديدية والسفن البخارية على النقل الحيواني والشراعي،وتضاعفت بين١٨٣٠-١٩١٤م أعداد السكان في إسطنبول وازمير وسالونيك في الوقت الذي تضاعف فيه عدد سكان بيروت بين١٨٠٠-١٩١٤م خمسة عشر ضعفا من١٠ آلاف إلى١٥٠ألفا،وكان هذا التمدد المديني ناتجا عن انتشار زراعة التصدير التي تبعها توسع في التجارة الداخلية والخارجية،وبينما عانت الصناعة العثمانية من تمدد البضائع الغربية الرخيصة بين١٨٠٠-١٨٧٠م،فقد شهدت نهضة كبيرة بعد ذلك وانتشرت المصانع حول مراكز المدن لاسيما في إسطنبول وسالونيك وازمير وبيروت،كما انتشرت التنظيمات العمالية واحتجاجات العمال،وفي سنة١٩٠٨م امتلكت استانبول٢٨٥مطبعة

(١) مذكرات عائشة ابنة السلطان عبدالحميد الثاني.

(٢) السلطان عبدالحميد الثاني،أورخان محمد علي.

وصحافة نقدية نابضة بالحياة تراوحت انتقاداتها بين السياسة وبعض مساوئ الحياة العصرية.ويقول المؤرخان ستانفورد وايزل شو: إن السلطان عبدالحميد عد نفسه مصلحا وكان كذلك بالفعل،وتمكن بحكمه الفردي من استعادة وحماية إمبراطوريته المبعثرة وإحياء مجتمعها وانجاح معظم الإصلاحات التي هُددت من قبل.

ويقول المؤرخ أندرو ويتكروفت: إن السلطان كان اكثر محدثي المجتمع العثماني تأثيرا رغم خطابه المستند إلى الماضي(أي الإسلام)،والذي وحد جميع القوى التقليدية في المجتمع العثماني توحيداً سياسيا خلف قيادته،وقد تحققت معظم وعود الدستور رغم إلغاء العمل به: فقد زود الإمبراطورية بالبنية الأساسية للتعليم الثانوي وبشبكة مواصلات وخطط لتطوير الطرق،ومدالبرق الكهربائي على مساحة الدولةحتى وصل إلى البلدات الصغرى،وأدار جهازا ضخما من الموظفين،وقدصوره أعداؤه داخل وخارج الدولةبصورة الأحمق الشرير،وكانت حماقته هي عدم اتباع وصفة التغريب المعتمدة للتطور والتي لم يطبقها الأوروبيون أنفسهم بحذافيرها وأحبطت خطط الإصلاح القائمة عليها كلا من الغرب والمصلحين العثمانيين.

ويقول المؤرخ بيترمانسفيلد:إنه رغم أن السلطان كان يتبنى ذهنيةرجعية(بالمفهوم الغربي) فإنه يمكن عده وفقا للشروط الحديثة مجددا ومحدثا ولكن ليس متغربنا،وقد كان له إنجازات لا يمكن تجاهلها طوال تاريخ حكمه الممتد.

وتأتي شهادة ملك الأردن الأول عبدالله بن الحسين خير دليل على نزاهة وعدالة السلطان عبدالحميد،وشهادته مهمة لأنها تأتي من شاهد عيان كان منفيًا مع أسرته في الأستانة وقدعاصر تلك الأحداث،حيث يقول في مذكراته:وقد زعم الناس أن السلطان عبدالحميد كان ظالما،لقد كذب الناس،والله لم يكن بالظالم ولكنه الحذر المتحوط،ولقد عرف بعد أن ذهب أنه لم يقتل أحداً ولم ينفذ حكم إعدام في محكوم أبداً،إلا مرة واحدة والبقية يتركون في السجون حتى يدركهم الموت،وأما الذين ينفون من بلادهم إلى إسطنبول أومن إسطنبول إلى الخارج فهم أولئك الذين يحرضون عليه أنهم أهل خلاف عليه أو على سلطانه[1]..الخ.

(١) صناع الإنجليز،لسعود السبعاني.

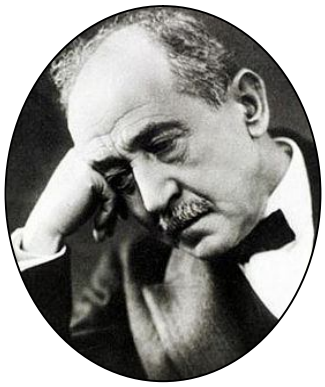

الشاعر أحمد شوقي يرثي السلطان عبدالحميد الثاني

نهضت بعرش ينهض الدهر دونه
خشوعًا،وتخشاه الليالي وترهبُ
فأحييت ميتًا دارس الرسم،غابرا
كأنك فيما جئت عيسى الـمُقربُ
وشدت مناراً للخلافة في الورى
تُشرق فيهم شمسه،وتُغربُ
أمولاي!غنتك السيوف فأطربت
فهل ليراعي أن يغني فيطربُ!

وقال أيضا:

ضجت عليك مآذن، ومنابر *** وبكت عليك ممالك،ونواح
الهند والهة،ومصر حزينة *** تبكي عليك بمدمع سحاح
والشام تسأل،والعراق،وفارس***أمحا من الأَرض الخلافة ماح؟
وأتت لك الجمع الجلائل مأتمًا *** فقعدن فيه مقاعد الأنواح
يا للرجال لحرة موءودة *** قُتلت بغير جريرة وجنتاح
إن الذين أست جراحك حربهم *** قتلتك سلمهم بغير جراح
هتكوا بأيديهم ملاءة فخرهم *** موشية بمواهب الفتاح
نزعواعن الأعناق خير قلادة ***ونضوا عن الأعطاف خير وشاح
حسب أتى طول الليالي دونه *** قد طاح بين عشية وصباح
وعلاقة فصمت عرى أسبابها ***كانت أبر علائق الأرواح
جمعت على البر الحضور،وربما *** جمعت عليه سرائر النزاح
نظمت صفوف المسلمين وخطوهم *** في كل غدوة جمعة ورواح
بكت الصلاة،وتلك فتنة عابث *** بالشرع،عربيد القضاء،وقاح
أفتى خزعبلة،وقال ضلالة *** وأتى بكفر في البلاد بواح
إن الذين جرى عليهم فقهه *** خلقوا لفقه كتيبة وسلاح

إن حدثوا نطقوا بخرس كتائب*** أو خوطبوا سمعوا بصم رماح
استغفرالأخلاق،لست بجاحد *** من كنت أدفعُ دونه وألاحي
ما لي أطوقه الملام وطالما *** قلدته المأثور من أمداحي
هو ركن مملكة،وحائط دولة *** وقريع شهباء، وكبش نطاح
أأقول من أحيا الجماعة ملحد*** وأقول من رد الحقوق إباحي
الحق أولى من وليك حرمة *** وأحق منك بنصرة وكفاح
فامدح على الحق الرجال ولمهم*** أو خل عنك مواقف النصاح
ومن الرجال إذا انبريت لهدمهم *** هرم غليظ مناكب الصفاح
فإذا قذفت الحق في أجلاده *** ترك الصراع مضعضع الألواح
أدوا إلى الغازي النصيحة ينتصح *** إن الجواد يثوب بعد جماح
إن الغرور سقى الرئيس براحه *** كيف احتيالك في صريع الراح
نقل الشرائع،والعقائد،والقرى *** والناس نقل كتائب في الساح
تركته كالشبح المؤله أمة *** لم تسل بعد عباد الأشباح
هم أطلقوا يده كقيصر فيهم *** حتى تناول كل غير مباح
غرته طاعات الجموع،ودولة *** وجد السواد لها هوى المرتاح
واذا أخذت المجد من أمية *** لم تعط غير سرابه اللماح
من قائل للمسلمين مقالة *** لم يوحها غير النصيحة واح؟
عهد الخلافة في أول ذائد *** عن حوضها ببراعة نضاح

كما رثاه الشاعر الكبير جميل صدقي الزهاوي،قال:

وقد بعث الله الخليفة رحمة ** إلى الناس إن الله للناس يرحم
أقام به الديان أركان دينه ** فليست على رغم العدى تتهدم
وصاغ النهى منه سوار عدالة **به إزدان من خود الحكومة معصم
وكم لأمير المؤمنين مآثر ** بهن صنوف الناس تدري وتعلم
ويشهد حتى الأجنبي بفضله **فكيف يسيء الظن من هو مسلم
سلام على العهد الحميدي إنه ** لأسعد عهد في الزمان وأنعم

وفاة السلطان عبدالحميد

بسب الظروف المعيشية للسلطان عبد الحميد خلال إقامته الجبرية الأمر الذي جعله يصاب بانفلونزا شديدة، بعد طلب طبيب القصر حسين عاطف له أعطاه الأخير بعض الأدوية، الأمر الذي جعله يتعافي وتعود له صحته.

بعد تعافي السلطان عبد الحميد الثاني أطمئن الطبيب عاطف وذهب لبيته، وفي المساء جلس عبد الحميد مع عائلته ليتناول طعام العشاء وبعد تناوله الطعام أصبح يشعر ببعض الآلام في صدره فذهبت زوجته مُشفقة لدعوة الطبيب ولكن لم تجده في القصر فعلمت السلطانة مُشفقة بأن طبيب الأمير وحد الدين الخصوصي موجود في القصر فأرسلت لهم خبر مع قائد الحراس ليأتي على الفور لتشخيص حالة عبدالحميد،أتى الطبيب وأخبرهم بأن هناك التهاب رئوي شديد لدى السلطان.

علم السلطان محمد رشاد أخ عبد الحميد والمتولي للحكم من بعده وكما علم الصدر الأعظم أنور باشا بالأمر، فطلبا من الطبيب عاطف العودة بسرعة قصوى للقصر وطلبا من أشهر أطباء ذلك العصر السيد نشأت عمر بالبقاء بجانبه ومحاولة تقديم بعض الأدوية الشافية له.

على الرغم من جميع الأدوية التي أخذها السلطان عبد الحميد الثاني بناءا على نصيحة الأطباء إلا أنه لم يتعافى مما يعاني منه،بعد علم السلطان محمد رشاد بأن أخيه يمكن أن يفارق الحياة في أي وقت على الفور أرسل أمر إلى ابن عبد الحميد الثاني الاكبر سليم الذي كان في الجبهة الحربية وأمره بالقدوم الفوري وأخوانه للوقوف إلى جانب والدهم بعد قدوم أبنائه طلب من السلطانة مُشفقة تجهيز فنجان قهوة بنفسها.

أثناء احتسائه لقهوته نظر إلى جميع الجالسين في الغرفة وكأنه يودعهم،وفي هذه اللحظات قالت له زوجته مشفقة بارك الله بك كم كنت مُخلصا لنا ولدولتك ولدينك فرد عليها مبتسما ليشهد الله بأني لم أقم بأي شيء خلال فترة حكمي التي استمرت لمدة ثلاثة وثلاثين عاما إلا لخدمة بلدي ودين وشعبي،ليكن هم الجميع خدمة دينه ووطنه وشعبه بصرف النظر عن موقعه ومقامه.

احتسى السلطان عبد الحميد الثاني القهوة مرة وصرف هذه الكلمات ولكن بعد الانتهاء منها سُكبت القهوة على زوجته مُشفقة فبدأت بالصراخ والنداء على الطبيب ولكن بعد قدوم الطبيب أجرى بعد الفحوصات وأخبرهم بأن الروح رجعت إلى بارئها[1]،وذلك بتاريخ ١٩١٨/٢/١٠م.

تشييع جنازة السلطان عبد الحميد الثاني

كان اليوم التالي لوفاته يصادف يوم الإثنين،حيث تم نقل نعشه إلى قصر طوب كابي جـريًا على الأعراف المتبعة،ودفن بناء على وصيته في مقبرة جده السلطان محمود. سار في جنازته جموع غفيرة من الخلائق،دفن السلطان عبدالحميد الثاني في الضريح الخاص بجده السلطان محمود الثاني و بجانب عمه السلطان عبدالعزيز،بإسطنبول.

(١) السلطان عبدالحميد الثاني،لأورخان محمدعلي.

الخاتمة

من خلال ماسبق عرضه،وما قد ذكرناه،يتضح لنا جليا،أن السلطان عبدالحميد،حجر عثرة في طريق ثالوث الشر الصليبي الصهيوني الماسوني،إلى أن تآزرت دسائس الحقد في الإجهاز عليه،وكان رحمه الله قد تولى الحكم والدولة مثخنة بجراحها،يتبين قوة التحديات التى وقفت أمام جهود السلطان عبد الحميد وسعيه الى حماية الدولة العثمانية وباقى البلاد الاسلامية من خطر الاستعمار والاطماع الصهيونية والدسائس الماسونية الا ان تحالف قوى الشر كان أقوى من صمود عبدالحميد ولم تسعفه صيحة،يا مسلمي العالم اتحدوا،لأن الاستعمار كان قد سبقه إلى أحتلال كبرى حواضر الإسلام،واستمر حال التردي والتراجع،إلى أن تمكن الأعداء من ضرب حامية الخلافة العثمانية،فرحم الله السلطان عبدالحميد،الذي ظل وفيًا لأمته إلى آخر الرمق،لتكف عنك أقلام الزور والتشويه،وليكتب اليوم تاريخك ياسلطان على صفحات فضية بإقلام ذهبية،لأنك جزء من تاريخ هذه الأمة الأسلامية العريقة بأمجادها.لهذا كان لزامًا أن تتوجه إليه كل الجهود والرعاية والإهتمام،ومن الدروس المستفادة التي نخرج بها من تبيان حقيقة السلطان عبدالحميد المفترى عليه.وفي الختام نوجه رسالة من خلال بحثنا هذا إلى من كتب ومازال يكتب سطور الاكاذيب والأفتراءات على رموز المسلمين،أعلموا أن الله كشف زوركم وبهتانكم[1] بقوله تعالى:(إنما يفتري الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون[2]). أما عامة الأمة فواجب علينا أيضا أن ننصح لهم،بقوله تعالى:(يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قومًا بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين[3]).وكذلك ننصح إخواننا المسلمين:عدم سماع الكذب،فهومن صفات اليهود قال الله تعالى:(سماعون للكذب[3]).

والحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين.

---

(١) البهتان:هو الكذب والافتراء الباطل الذي يتحير منه،قال المناوي:(البهتان كذب يبهت سامعه ويدهشه ويحيره لفظاعته،وسمي بذلك لأنه يبهت:أي يسكت لتخيل صحته،ثم ينكشف عند التأمل.وقال الكفوي:(البهتان هو الكذب الذي يبهت سامعه أي:يدهش له ويتحير،وهو أفحش من الكذب،وإذا كان بحضرة المقول فيه كان افتراء.وقيل: كل ما يبهت له الإنسان من ذنب وغيره.(النهاية في غريب الحديث والأثر:١/ ١٦٥)،(الكليات للكفوي: ص١٥٤)،(التوقيف للمناوي:ص٨٤).

(٢) النحل:الآية١٠٥. (٣) الحجرات:الآية٦. (٤)المائدة:الآية٥١.

الفهرس

المقدمة ١
نبذة مختصرة الخلافة العثمانية ٢-٣-٤-٥
فترة الركود والتدهور الإمبرطورية العثمانية.....٦-٧
القادة العظام على صنفين.....٨
عبدالحميد الثاني ٩-١٠
زيارة عبدالحميد إلى أوربا ١١
تولى عبدالحميدالثاني الحكم وأعلان الدستور،تمردات وثورات في البلقان.....١٢-١٣
موقف الدول الأوربية بين روسيا وتركيا.....١٤
الحرب الروسية العثمانية١٨٧٧م ١٥
ملحمة بليفنا وبطولة عثمان باشا.....١٦-١٧-١٨-١٩-٢٠
معاهدة سان ستيفانو١٨٧٨م.....٢١-٢٢
مؤتمر برلين ١٨٧٨م.....٢٣-٢٤
جبهة الأنضول.....٢٥-٢٦
نينية نموذج المرأة الأنضولية المجاهدة ٢٧-٢٨-٢٩-٣٠-٣١
تواطؤ السكان الأرمن ضد الخلافة العثمانية.....٣٢-٣٣-٣٤
التحالف الروسي والأرمني واكذوبة لإبادة الأرمنية.....٣٥ إلى ٤٤
الحرب اليونانية العثمانية١٨٩٧م.....٤٥
ماقبل أعلان الحرب اليونانية العثمانية.....٤٦
نهاية الحرب اليونانية العثمانية.....٤٧
السلطان عبدالحميد والصحافة.....٤٨
السلطان عبدالحميد ومؤسسات التعليم والمرافق العامة.....٤٩-٥٠-٥١
السلطان عبدالحميد والجيش ٥٢-٥٣-٥٤
مدحت باشا.....٥٥-٥٦-٥٧
مدحت باشا من المنفى إلى المحكمة،ومحكمة يلدز.....٥٨-٥٩-٦٠
أحكام محكمة يلدز.....٦١
وفاة مدحت باشا.....٦٢

مجلس المبعوثان(مجلس النواب).....٦٣
نواب مناطق بلاد الشام في مجلس المبعوثان(١٩٠٩-١٩١٢م).....٦٤ إلى ٧٦
شبتاي زيفي وأطماع الدونمة في فلسطين.....٧٧-٧٨-٧٩
السلطان عبدالحميد وهرتزل.....٨٠-٨١-٨٢-٨٣-٨٤-٨٥-٨٦
المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بازال(بال) السويسرية.....٨٧
المنظمة الصهيونية العالمية،وظهور القوميات.....٨٨-٨٩
بداية ظهور القوميات العربية.....٩٠-٩١
الجامعة الأسلامية.....٩٢
الأهتمام العثماني بالعرب.....٩٣
الأنجازات التنموية والأجتماعية والأقتصادية،إنشاء الخطوط الحديدية.....٩٤
مقاومة المخططات الغربية في أرضي السلطنة العثمانية.....٩٥-٩٦-٩٧
مدرسة العشائر في إسطنبول.....٩٨
المنهج في مدرسة العشائر.....٩٩-١٠٠
قصر يلدز مقر حكم السلطان عبدالحميد.....١٠١
مراحل بناء وتطوير قصر يلدز.....١٠٢
خلع السلطان عبدالحميد.....١٠٣
محمود شوكت باشا قائد(الفيلق الثالث) ومحاصرته لقصر يلدز.....١٠٤
نفي السلطان عبدالحميد إلى سالونيك ١٠٥
كلمة إنصاف في حق السلطان عبدالحميد ١٠٦-١٠٧
أحمدشوقي يرثي السلطان عبدالحميد.....١٠٨
جميل صدقي الزهاوي يرثي السلطان عبدالحميد.....١٠٩
وفاة السلطان عبدالحميد.....١١٠- ١١١
الخاتمة.....١١٢